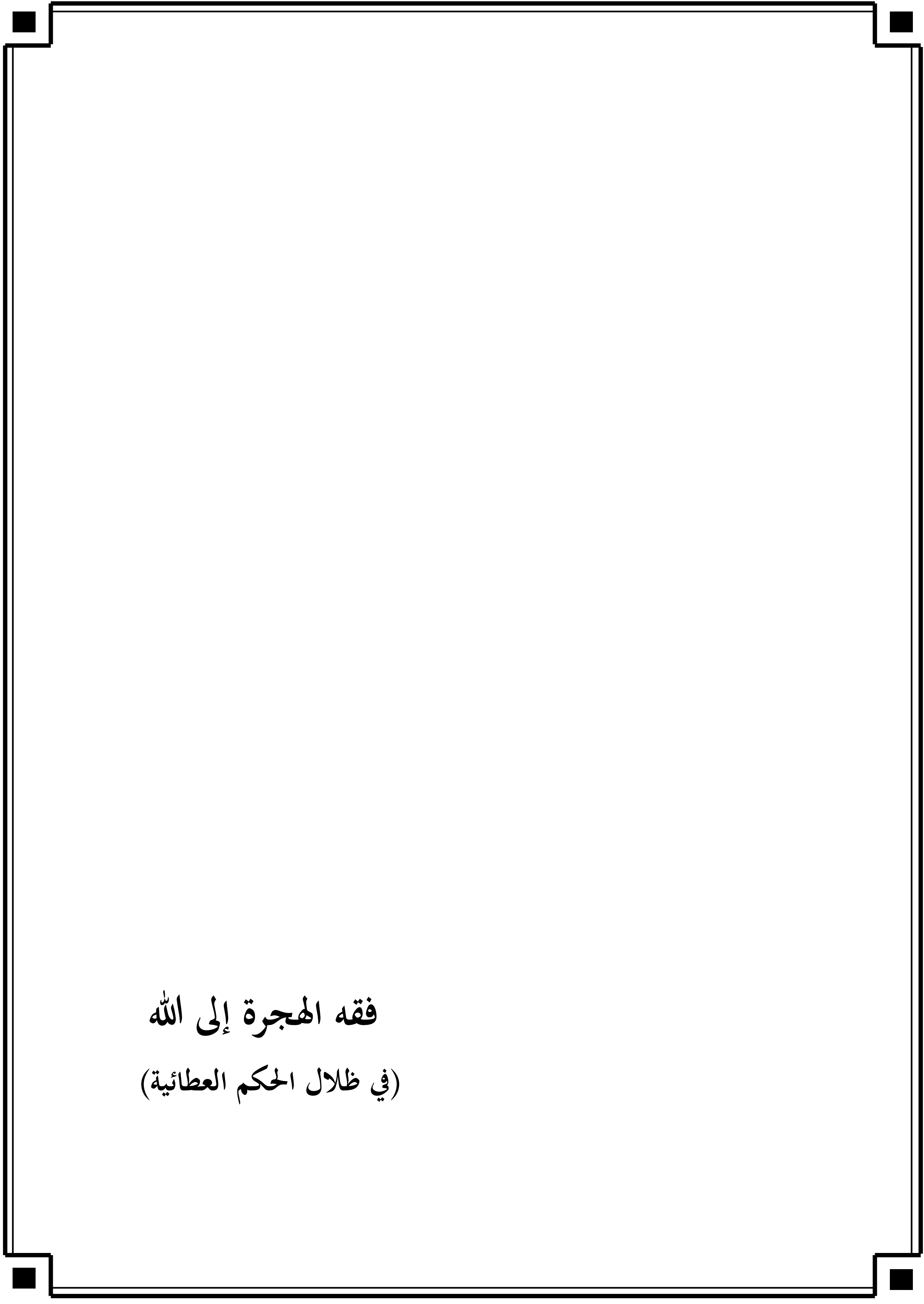


فقه الهجرة إلى الله

(في ظلال الحكم العطائية)

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ- ٢٠١٠ م

(إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (العنكبوت: ٢٦)

فقه الهجرة إلى الله

(في ظلال الحكم العطائية)

إن (النعيم وإن تنوعت مظاهره؛ إنما هو لشهوده واقترابه، والعذاب وإن تنوعت مظاهره؛ إنما هو لوجود حجابه) (الحكمة : ٢٢٣)

أحمد الوتاري



بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الحكم

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله، ورضي الله عن صحابته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فحكم ابن عطاء الله السكندري يكسوها جلال من نوعٍ خاص، أصله قلب عرف الله ذا الجلال، فصدرت عنه إشارات على طريق معرفة الحق الأعظم في الوجود، من أرقى ما صدر عمن سوى الانبياء، تحس جلالها بلا تكلف، حيث: (كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز)، وكسوة قلب ابن عطاء كسوة عارف بالله قل نظيره، -ببركة العلم بكتاب الله ونور القرآن، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم-، فبرزت منه بإذن الله حكم على طريق معرفة الله، أصولها جميعاً من الكتاب والسنة، كتب الله لها القبول في قلوب العارفين، و(من أُذِن له في التعبير: فُهِمَت في مسامع الخلق عبارته، وجُليت إليهم إشارته)، وذلك من فضل الله عليه وإذنه له، إذ إن أمثال هذه الحقائق تخرج ناقصة إن لم يكن القلب مأذوناً له

إظهارها، و(ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار، إذا لم يؤذن لك فيها بالإظهار)[1].

ويكسو قلوبَ العارفين الورعُ والحياءُ وهم يتحدثون بإخلاص عن الله، وهم يعلمون أن: (لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته، فإن ذلك يُقِلُّ عملها في قلبه، ويمنعه وجود الصدق مع ربه)، وإن هذه الحقائق الكبرى قد يلتبس فيها التعبير بحسب مقام قلب الناطق بها إذ: (ربما عبر عن المقام من استشرف عليه، وربما عبر عنه من وصل إليه، وذلك ملتبس؛ إلا على صاحب بصيرة)، وليس مَن استشرف المقام كمن وصله، وكلٌّ يعبر بحسب ما صار إليه نوره فـ(تسبق أنوار الحكماء أقوالهم، فحيث صار التنوير: وصل التعبير)، وابن عطاء من أرباب التمكين، وعارف من المحققين، أفاض الله على قلبه عبارات لهداية المريدين، من أَجَلِّ عبارات العارفين الذين: (عباراتهم

---

[1] قال في الفتح الرباني: (**احقر نفسك واكتم أمرك، وكن على ذلك إلى أن يقال لك تحدث بنعمة ربك**)/٢٦٨، فلا تتعجل الدعوة قبل إحكام البناء، وإنما (**احفر أرض قلبك إلى أن ينبع ماء الحكمة، ثم ابن بالاخلاص والمجاهدات والأعمال الصالحات إلى أن يرتفع قصرك، ثم ادع الناس إليه بعد ذلك**): الفتح الرباني والفيض الرحماني- للشيخ عبد القادر الكيلاني- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ٢٠٠٦- تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، ص٢١٦.

إما لفيضان وجد، أو لقصد هداية مريد، فالأول: حال السالكين، والثاني: حال أرباب المكنة والمحققين).

إن هذه العبارات زاد للقلوب عجيب بعد كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، لن تنال منها إلا ما أنت باسط إليه قلبك لتأخذه، إذ: (العبارات قوت لعائلة المستمعين، وليس لك إلا ما أنت له آكل)، وهو علم نافع يزيل كثيراً من الران عن القلب، وعلامته أنه مما ينشرح له الصدر ويخشع معه القلب، لأن: (العلم النافع: هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه، وينكشف به عن القلب قناعه) وصاحبته خشية الله، فـ(خير العلم ما كانت الخشية معه)، وإنك إن تلقيت مثل هذا العلم بغير نية خشية الله صار حجة عليك، لأن (العلم إن قارنته الخشية: فلك، وإلا: فعليك)، فالحذر الحذر ممن يأخذه ليرائي به الخلق أو ليترف به العقل، فإن الله فاضحه، فـ(ما استُودِع في غيب السرائر: ظهر في شهادة الظواهر)، فابسط قلبك للأخذ من هذه الأنوار بقدر ما تستطيع، ولا تتكلف ما لا تفهمه، ولا تدَّعِ ما ليس لك، فالأمر بينك وحدك وبين الله الذي تسلك بك هذه العبارات إليه، ومنه وحده سبحانه الهدى.

تعريف بمنهج الكتاب

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) (البقرة: ٢٦٩)

ينتظم هذا الكتاب الحكم العطائية مجموعة في سلك واحد، لتنير طريق الهجرة إلى الله، وليس لمصنفه وفق ما سوف تراه هنا سوى ربطها ببعضها، ووضعها في سياق يجعلها جملة واحدة، تم بذل الوسع كي لا يدخل فيها ما ليس منها، وإنما استعين بنور كتاب الله العظيم لمعرفة صفاء منبعها، وبشروح بعض من أحبها من العارفين لحسن فهمها[٢]، ثم لصياغة جمل تهيئ النفس لتلقي معانيها، وقد اختصرت إلى أقصى حد، كي لا تضيع معالم روح الحكم.

وقد تم وضع نصوص الحكم حيثما وردت في المتن بين قوسين، وألحق بالكتاب جدول يجمع الحكم حسب تسلسل ورودها في مصادرها، ويقابله رقم الصفحة التي وردت فيها الحكمة ضمن سياقها في موضوعات

---

[٢] أخص منهم بالذكر الشيخ زروق من القدامى، والشيخ المبارك محمد سعيد رمضان البوطي من المعاصرين في كتابه (الحكم العطائية- شرح وتحليل) رزقنا الله وإياهم القبول، ورفع منزلتهم بما استعملهم في دعوة الناس إلى ربهم: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (فصلت: ٣٣).

هذا الكتاب الذي يتألف من مقدمات عامة ست، وأبواب ثلاثة، تنتظم الحكم في فصولها، وتتدرج بك في فقه طريق هجرتك إلى الله:

المقدمات: وهي معالم عامة، تسلك بك الحكم فيها مسلك التعريف بما يلي:

المقدمة الاولى: من أنا؟ (النفس).

المقدمة الثانية: أين أنا؟ (الدنيا).

المقدمة الثالثة: أين هو؟ (الله قريب مجيب).

المقدمة الرابعة: ماذا أفعل؟ (روح الأعمال).

المقدمة الخامسة: ماذا يفعل (هو) بي؟ (القدر).

المقدمة السادسة: أين يجب أن أكون؟، وهو الفقه الأعظم ضرورة للعبد: (فقه المقام).

وبعد المقدمات، تأتي أبواب الكتاب الثلاثة في فقه الهجرة إلى الله:

الباب الاول: الهجرة: تعريفها ومقاماتها الأولى[٣]:

---

[٣]طريق الهجرة في أول مقاماتها -بمفهوم الحكم- **خلوة وتفكر** في ما خلق الله وفي معاني النور الذي أنزله الله على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم، يقودان إلى شهود تجلي صفات الله في ما خلق وفي ما أوحاه من النور، ثم إلى معرفة العبد نفسه وشدة فقره وحاجته لربه، فإرادة الهجرة إلى الله **بالتحقق بهذا الفقر**، الذي يقود العبد إلى التوجه **بالتوبة** عن ما لا يحبه الله مما سيكون من فعل العبد، **والاستغفار** عما كان منه

الخلوة والفكرة- الفقر- التوبة والاستغفار- الذكر- الصبر والشكر- الرضا بالله

الباب الثاني: الأنوار والواردات:

وهي إشارات حق في طريق الهجرة، تثبت المهاجر وتطمئنه، وفي هذا القسم تعرف ما هي الواردات؟، ومتى ترد؟، ولماذا ترد؟، وما هي علامة أهلها؟، وما هو قدرها؟، والنور الاعظم!.

الباب الثالث: الله!

وهو القسم الأخير، حيث مقصد الهجرة، وحيث فقه معنى: الحجاب- الوصول- الشهود.

ثم يختم الكتاب بخاتمة في بيان حال السالكين بين السائر والواصل.

من فعل، والتوبة والاستغفار يستغرقان أزمان ما يكون من العبد من فعل ماضٍ ومستقبل، **وبهما يكون العبد -بنيته- في كل أوقاته لله**، وليكون سبيله للورود على الله مجاهدة النفس للدوام على **ذكر الله**، الذي ينبسط معه القلب بنشوة الانتساب إلى الله؛ ومعه يثبت العبد على **مراقبة الله، وقلبه يتقلب بين الخوف والرجاء، وحاله بين الصبر والشكر** على مقادير الله، فيستغرق الصبر والشكر في القبض والبسط أحواله كلها حتى **يرضى بالله وبما يكون من الله**، ثم ليشهد بهذه المراقبة والرضا **أن الفضل كله لله وحده**، مع البراءة إلى الله من أن ينسب العبد لنفسه من الأمر شيئاً، أو أن يتوهم لنفسه فضلاً مع تجدد نعيم الترقي والقرب والوصول -ببركات الحب وواردات النور- عند دوام الذكر والتحقق بالفقر.

وقد ألحق بالكتاب ملحقان:

الملحق الاول: (من هو الله)، ويتضمن قسماً في التعريف باسم (الله)، مما اختصرناه من كتاب ابن عطاء الله (القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد)، ويتلوه قسم ثانٍ (من نور الكتاب: في وصف (الله) في أعظم آية في القرآن)، ويتضمن تفسيراً للآية التي يذكر فيها (الكرسي)، وعرضاً لمنهج كتاب الله في وصف الله في هذه الآية.

الملحق الثاني: ويتضمن تعريفاً موجزاً بصاحب الحكم، وسرداً للحكم مرقمة مثلما وردت في مصادرها، مع بيان موضع ورود كل منها في هذا الكتاب.

ومما ينبغي أن يُعلم أن هذا الكتاب ليس (قوتاً) لقلب لم يبسط بصيرته ليأخذ منه، وليس هو زاداً لمن لا يعرف قدر نفسه، كما أنه ليس كتاباً في فقه العبادات، ولا يمثل منهجاً تفصيلياً في مراتب السلوك، ولا قاموساً في بيان مصطلح القوم، ولا هو كتاب (أذكار) يحدد لك عمل اليوم والليلة، فلهذه العلوم مظانها، **ولكنه فريد من نوعه في إشاراته لدقائق مسائل فقه الهجرة إلى الله، ومعرفة النفوس، ومعرفة معالم الطريق، مما يعرف قدره أهل القدر، ويكفيك النظر إلى قسمه الثاني: (الأنوار**

والواردات) أو إلى فصل (الحجاب) في قسمه الثالث، لتشهد أن مافيه من ألوان العلم لا نظير له فيما عرفت[٤].

فيامن إليه نهاجر، نسألك نحن قاريء هذه الكلمات وكاتبها، بحبنا لعبدك الذي كتب هذه الحكم قبلنا، أن: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة: ١٢٧).

---

[٤] ينصح من لم يسبق له الاطلاع على (الحكم العطائية) بالرجوع إلى الملحق الثاني الوارد في نهاية هذا الكتاب، وقراءة الحكم جميعاً بعناية قبل الشروع بقراءة النص.

المقدمات

أولاً: من أنا؟ (النفس)

ثانياً: أين أنا؟ (الدنيا)

ثالثاً: أين هو؟ (الله قريب مجيب)

رابعاً: ماذا أفعل؟ (روح الأعمال)

خامساً: ماذا يفعل (هو) بي؟ (القدر)

سادساً: أين يجب أن أكون؟ (فقه المقام)

المقدمات

أولاً: مَنْ أنا؟: (أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً) (مريم: ٦٧)

أول الطريق لمعرفة الله: معرفة نفسك، وهي أول مهمة لنا في فرصة العمر، أن نعرف: (من نحن؟)، فاعلم أنك قد خلقت خلقة عجباً، بروح أصلها من عالم الغيب والملكوت، وجسم كائن في الكون من عالم الملك والشهود، و(جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته: ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته، وأنك جوهرة، تنطوي عليك أصداف مُكَوَّناته)، ولذلك فـ(إنما وسعك الكون من حيث جسمانيتك، ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك)، فروحك تنتمي إلى ذلك الملكوت لا إلى هذا الجسد وهذا الكون، و(**الكائن في الكون، ولم تفتح له ميادين الغيوب: مسجون بمحيطاته، ومحصور في هيكل ذاته**)، والحرمان كل الحرمان أن تحرم عيان أصلك، وإن (ما تجده القلوب من الهموم والأحزان: فلأجل مامنعته من وجود العيان)، و(العارف لا يزول إضطراره، ولا يكون مع غير الله قراره)، فيبدأ بالهجرة إلى ربه، بدلا من الدوران في فلك عادات كل يوم، حين يرحل من هم إلى هم، ويعود غداً إلى المكان الذي كان فيه أمس، فـ(لا ترحل من

كون إلى كون، فتكون كحمار الرحى: يسير والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه، **ولكن ارحل من الأكوان إلى المكوّن**: (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) (النجم: ٤٢)، وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم: ((فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله: فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها: فهجرته إلى ما هاجر إليه))، فافهم قوله عليه الصلاة والسلام، وتأمل هذا الأمر، إن كنت ذا فهم، والسلام)، واعتبر بنعمة أن الله قد سخر لك ما في السماوات وما في الأرض جميعاً: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ) (الجاثية: ١٣)، فكن متبوعاً بها لا تابعاً لها، وإنما (أنت مع الأكوان مالم تشهد المكَوِّن، فإذا شهدته: كانت الأكوان معك).

• موطن الضعف:

وإنما تحجبك عن الهجرة إلى الله وشهود ملكوته: عيوب النفس، وإن أول طريق هذه الهجرة الشوق إلى معرفة هذه العيوب الباطنة°، فـ(تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب؛ خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب)، ويحجبك عن هذه المعرفة رضاك عن نفسك، و(أصل كل معصية وغفلة وشهوة: الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة: عدم الرضا

°قال في الفتح الرباني: (**من عرف نفسه وغلبها صارت راحلة له تحمل أثقاله ولا تخالفه في أمره**)/٢٨٢

منك عنها، ولئن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه، خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه؟، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟)، فـ(من رأيته مجيباً عن كل ما سُئل، ومعبراً عن كل ما شهد، وذاكراً كل ما علم: فاستدل بذلك على وجود جهله)، لوجود حجابه بالرضا عن نفسه، وهو أصل كل معاصيه.

ومع هذا الحجاب تسترخص النفس بذل العمر فيما ظهر لها من اللذات، إذ إن (حظ النفس في المعصية: ظاهر جلي، وحظها في الطاعة: باطن خفي، ومداواة ما يخفى صعب علاجه)، حتى يدمن القلب حلاوتها الظاهرة، وإن (تَمكُّن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال) فـ(لا يُخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك، وإنما يُخاف عليك من غلبة الهوى عليك)، و(من علامات اتباع الهوى: المسارعة إلى نوافل الخيرات، والتكاسل عن القيام بالواجبات)، فحاسب نفسك بما تراه منها من مسارعة في محاب الله، فما تقرب عبد إلى الله بشيء أحب إليه من أداء ما افترضه عليه[٦]، و(إذا التبس عليك أمران: فانظر أثقلهما على النفس، فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً)، واعلم أن الشيطان لك عدو فاتخذه عدواً: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ

[٦] قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: **(وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه)**، وهذا جزء من حديث أخرجه البخاري، وقال عنه أهل العلم: (أصح حديث روي في الأولياء).

عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً) (فاطر: ٦)، و(إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك: فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده)، وإنما خلقه ربك من أجلك، ولتفر منه إلى الله، و(جعله لك عدواً: ليحوشك به إليه، وحرك عليك النفس: ليدوم إقبالك عليه).

• سبيل القوة:

وهذا الهوى لا يخلي القلب منه إلا **أدب مع الحق وأدب مع الخلق، فأما الأدب مع الحق** فسبيله خشية الله، وحبه وحده والشوق لحبه، فـ(لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج، أو شوق مقلق)، إذ طالما كان هناك حب لسواه فلا إمكان لإقبال القلب عليه: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ) (البقرة: ١٦٥)، فهو (كما لايحب العمل المشترك، كذلك لايحب القلب المشترك، العمل المشترك: لا يَقبَلُه، والقلب المشترك: لا يُقبِل عليه)، وإنك (ما أحببت شيئاً إلا كنت له عبداً، وهو لا يحب أن تكون لغيره عبداً)، وهو حب أعلى من كل غرض، يستحق منك أن تبذل فيه خير ما فيك، فـ(ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضاً، أويطلب منه غرضاً، فإن المحب من يبذل لك، ليس المحب من تبذل له)، وتأمل حب الله لك فيما وهبك من كل شيء دونما حاجة إليك في شيء، وتعلم كيف تحب!، فإنك (متى كنت إذا أُعطيت بسطك العطاء، وإذا مُنعت قبضك المنع، فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك، وعدم صدقك في عبوديتك).

وأما الأدب مع الخلق -مما يخلي القلب من الهوى-، فأوله أن (لا تصحب من لا يُنهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله)، إذ (ربما كنت مسيئاً، فأراك الاحسان منك صحبتك من هو أسوأ حالاً منك)، ثم النظر بصدق إلى ما تعرفه من حقيقة نقصك، والتخلي عن الرياء وحب الثناء من الخلق بما ليس فيك، لأن (الناس يمدحونك؛ لما يظنونه فيك، فكن أنت ذاماً لنفسك، لما تعلمه منها)[٧]، فإن (أجهل الناس من ترك يقين ما عنده، لظن ما عند الناس)، وأنت تعلم حق العلم من نفسك القصور عن ما يصفون، كما (ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك)، إذ إن مجرد (استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك: دليل على عدم صدقك في عبوديتك) ، و(المؤمن إذا مُدح استحيا من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه)، فـ(إذا أُطلق الثناء عليك -ولست بأهل-: فأثن عليه بما هو أهله)، وارجع الأمر لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) (الشعراء: ٢١٩)، لا نحصي ثناءاً عليه، هو كما أثنى على نفسه، ويكفيك نظره إليك وشهوده ما يكون منك، فـ(غَيِّب نظر الخلق إليك بنظر الله إليك، وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك).

---

[٧] قال في الفتح الرباني: (**ويحك لا تغرك مقالات الناس، أنت تعرف ما أنت فيه وعليه، قال الله عز وجل: (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)** (القيامة: ١٤))/٢٨١.

• إعرف قَدْرك!

إن من شهد عظمة الله استصغر إلى جانبه كل ما سواه، وعرف أن قدر نفسه أهون من أن يقيم لها وزناً أمام تجلي صفات الله في كل حركة في الوجود، فتواضع ليبدأ الطريق، فـ(التواضع الحقيقي: هو ما كان ناشئاً عن شهود عظمته، وتجلي صفته)، وهو تواضع أصله الوعي بأنك مجرد مخلوق لم تكن قبل حين من الدهر شيئاً مذكوراً، فلا يكون لك أن تقدر لنفسك رفعة –ابتداءاً– لتثبت بعدها لها تواضعاً!–، و(من أثبت لنفسه تواضعاً: فهو المتكبر حقاً، إذ ليس التواضع إلا عن رفعة، فمتى أثبت لنفسك تواضعاً: فأنت المتكبر حقاً)، و(ليس المتواضع: الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن المتواضع: الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع)، فالصانع والمصنوع من خلق الله: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات: ٩٦)، والأمر كله من الله، وإن (خير أوقاتك: وقت تشهد فيه وجود فاقتك، وتَرِدُ فيه إلى وجود ذلتك)، وكيف لا تشهد فقرك إلى الله، وهو ربك (الحي) الذي أوجدك، (القيوم) الذي بمدده تبقى في الوجود، فهو قد (أنعم عليك أولاً بالإيجاد، وثانياً بتوالي الإمداد)، والأصل فيك ضعفك: (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً) (النساء: ٢٨)، وكل نعمة حادثة يسببها لك، هي تذكير بما يخفى ويُنسى من سابق حاجتك وفقرك قبلها، لأن (فاقتك لك ذاتية، وورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها، والفاقة الذاتية لا ترفعها

العوارض)، ففقرك أصيل وضعفك شديد، وربك وحده الغني الحميد: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (فاطر: ١٥).

ثانياً: الدنيا (أين أنا؟): (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (الحديد: ٢٠)

- **صفة الدنيا:**

منذ عرفنا أنفسنا ونحن هنا، في هذه الدنيا، وفي هذا الطبق من أطباق وجودنا، وهو طبق ابتلاء مؤقت، ظاهره جميل غر، وباطنه عبر، جعله الله (مزيناً) ليكون الابتلاء فيه ممكناً: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) (الكهف: ٧)، وإنما يفقه القلب الحي ما فيها من عبرة، فـ(الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة ، فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها) ، وحال من كان فيها قبلك يحكي أنها ليست بدار مقام، ولن يدوم مكوثك فيها، ولذلك فإنك (إن أردت ألا تُعزل: فلا تتول ولاية لا تدوم لك).

ولكي تبصر ما فيها من عبر، جعلها الله محلاً لوقوع الكدر: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) (البلد: ٤)، فـ(لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مُستَحَقٌّ وصفها، وواجب نعتها)، وقد جعل فيها من المنغصات وأنواع البلاء ما يسهل عليك معرفة قدرها، إذ (علم أنك لاتقبل النصح المجرد، فذوقك من ذواقها ما سهل عليك وجود فراقها)، و(إنما جعلها محلاً للأغيار، ومعدناً للأكدار: تزهيداً لك فيها)، فمهما تزينت لك ظواهرها حتى ترغب فيها، فإنها تبطن في نهايتها موتاً

قادماً كفيلاً بأن يزهدك بكل زينتها مهما أغفلتك عنه تلك الزينة، فأنت (إن رغبت البدايات: زهدتك النهايات، إن دعاك إليها ظاهر: نهاك عنها باطن)، فلا تستكثرن منها لأنك مفارقها ومفارق كل ما فيها ومن فيها، و(ليقل ما تفرح به: يقل ما تحزن عليه)[٨]، وإنما يسوقك للطمع بما فيها: وهم دوامها، وتلهيك زينتها عن حقيقتها فـ(ما قادك شيء مثل الوهم)، فتحرر من عبودية الطمع المذل فيها إذ (ما بسقت أغصان ذُلّ: إلا على بذر طمع)، وكن سيداً حراً بالقناعة بما رضيه لك ربك منها، فـ(أنت حر مما أنت عنه آيس، وعبد لما أنت له طامع)[٩].

• قدر الدنيا:

إن الدنيا ليست محلاً للبقاء، وقدرك عند من سخر لك الأرض والسماء أكبر من أن يجعل فيها لك الجزاء، و(إنما جعل الدار الآخرة محلاً لجزاء عباده المؤمنين: لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم، ولأنه أَجَلَّ أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها)[١٠]، وإنما وطنك دار غير هذه

---

[٨] قال في الفتح الرباني: (**ليس من الدنيا بيت يُكِنُّك ولباس يسترك وخبز يشبعك وزوجة تسكن إليها، الحياة الدنيا الاقبال على الخلق والادبار عن الحق**)/٣٤٤.

[٩] قال في الفتح الرباني: (**أما تعلم بأن همك ما أهمك، وأنك عبد من زمامك بيده**)/٢١٥.

[١٠] قال في الفتح الرباني: (**الدنيا حكمة، والآخرة كلها قدرة**)/١١٨.

الدار، و(لو أشرق لك نور اليقين: لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها)، وإنما (الطي الحقيقي: أن تطوي مسافة الدنيا عنك، حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك).

وإنما جعل الله ما في الدنيا دليلاً لك على صفات خالقه وطريقاً إلى معرفته، و(أمرك في هذه الدار بالنظر في مُكوَّناته، وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته)، وإنما هو عمى البصيرة إذ تطلب ما تعلم فناءه وتعمى عن شهود الدائم بقاؤه[11]، و(العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه، ويطلب ما لا بقاء معه، (فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج: ٤٦)) ، وإنما عزك بمعرفة العزيز الذي في الدنيا أعزك، وفي الآخرة سيعزك، ف(إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى: فلا تستعزن بعز يفنى).

[11] قال في الفتح الرباني: (**إذا كانت الدنيا لا تحصل إلا بتعب؛ فكيف ما عند الله عز وجل؟**)/٢٨٩.

ثالثاً: أين هو؟: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) (البقرة: ١٨٦)

• اسأل الله عن الله ليجيبك!:

وإذ قد تعرفت على خاصية نفسك، وصفة الدنيا التي أنت فيها، فاعلم أن كليكما من آثار فعل الله في الوجود ودليل على طريق معرفته سبحانه:

(تأمل سطور الكائنات فإنها   من الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خُطَّ فيها -لو تأملت خطها-:   ألا كل شيء ما خلا الله باطل[١٢])

ولكن وأنت تدرج في مراتب تعرُّفِك على الله من آثاره فصفاته وما سواها من المراتب، إعلم أنه ليس كالدعاء صلة تخترق الحجب وتصل المسافات، وتعرف بها أين الله منك، وتستيقن من أنه هو ربك الذي تدعوه فيسمعك، ولتعلم إن كان (هو) قريباً فتناجيه أم بعيداً فتناديه، وتؤسس لمخ عبوديتك وأصل علاقتك بربك بالدعاء -على طريق معرفته-، فتسأله (عنه) ليجيبك: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)

---

[١٢] ذكر البيتين ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين ٣/٣٥٦.

(البقرة: ١٨٦)، وعندها ستعرف أنه هناك!، وأنه الحي، وأنه قريب[١٣]، وأنه هاديك إليه حين تطلب منه أن يهديك، وهي خطوتك الأولى نحو عطائه الأعظم، وعلامته أنه (متى أطلق لسانك بالطلب: فاعلم أنه يريد أن يعطيك)، وهو عطاء مضمون، آتٍ بتحقق علامته من إطلاق لسانك بالدعاء، فـ(لا يكن تأخر أمد العطاء -مع الإلحاح في الدعاء- موجباً ليأسك، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك، لا فيما تختار لنفسك، وفي الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد)، واطمئن أن الله مجيبك بخير ما يصلح لك، خاصة وان قصة ما مضى من عمرك تشهد على حسن عنايته بك، فحَسِّن ظنك به لأجل ما عرفته منه، فما رزق العبد خيراً من حسن ظنه برب صفته أنه الوهَّاب الكريم، و(إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه، فحسن ظنك به لأجل معاملته معك، فهل عوَّدك إلا حسناً؟، وهل أسدى إليك إلا مِنناً؟)، واعلم أن فضله سابق، قبل أي عمل كان أو يكون منك، وأن (عنايته فيك لا لشيء منك، وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته؟، إذ لم يكن في أزله إخلاص أعمال ولا وجود أحوال، بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال، وعظيم النوال).

---

[١٣] قال ابن عطاء الله في أنواع (القرب): (إن قرب الحق جل وعلا بالعلم والقدرة لعامة المسلمين، وقربه باللطف والنصرة لخاصة المؤمنين، وقربه بالأنس والشهود للأولياء والعارفين)، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد/٢٨.

● مَنْ أدعو؟:

ما من واهب مثل ربك الكريم، فوحِّد قلبك وعلق أملك به وحده دون خلقه، و(لا تتعد نية همتك إلى غيره، فالكريم لا تتخطاه الآمال)[١٤]، فاسأله أن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين فـ(ما توقف مطلب أنت طالبه بربك، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك)، وأين أنت من قدرته وحكمته؟، كما لا تُعلِّق أملك بمن دونه من خلقه و(لا ترفعنَّ إلى غيره حاجة هو موردها عليك، فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعاً!؟، ومن لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه؛ فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعاً!؟)[١٥]، وإنما عطاء الخلق إليك إن حصل فهو مجرد أمر ظاهر، باطنه أن المعطي لك فيهم هو الله وحده، فـ(لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق، إلا أن ترى أن المعطي فيهم مولاك، فإذا كنت كذلك: فخذ ما وافقك العلم)، واستحي أن تطلب منهم وربك فوقهم، و(ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه لاكتفائه بمشيئته، فكيف لا يستحيي أن يرفعها إلى خليقته؟!)، ذلك أن (الذي يوجب لك رفع الهمة عما سوى الله: علمك بأنه لم يخرجك إلى مملكته إلا وقد كفاك ومنحك وأعطاك، ولم يبق لك

---

[١٤]قال في الفتح الرباني: (**من فاته باب الحق عز وجل قعد على أبواب الخلق**)/٤٨.

[١٥]قال في الفتح الرباني: (**الحاجة إلى الخلق عقوبة لأكثر السالكين، فإنهم ما خرجوا إلى السؤال إلا بذنوبهم**)/١٤٧.

حاجة عند غيره[16])، فيكتفي العارف في بعض أحواله بسؤال ربه بلسان الحال بدلاً من لسان المقال، بما فهمه عن علم ربه به، (وإذا كان قد اقتضى لهم الفهم عن الله أن يكتفوا بعلمه عن مسألته، فكيف لا يوجب لهم الفهم عن الله الاكتفاء بعلمه عن سؤال خلقه؟)[17].

• كيف أدعو؟:

إن من الأدب مع خالقك أن تعلم أن دعاءك من مظاهر عبوديتك وقيامك بحق ربوبيته: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر: ٦٠)، فالدعاء مخ العبادة، وليس مجرد طلب للعطاء، فـ(لا يكن طلبك تسبباً إلى العطاء منه، فيقل فهمك عنه، وليكن طلبك لإظهار العبودية وقياماً بحق الربوبية)، ليجيبك ويهديك إليه، ويفتح لك وجهة للتعرف عليه، بابها معرفة قدرك ومدى فقرك إليه، لأن لهذا الدعاء أدباً خاصاً، في المعاملة بين عبد صغير وبين الملك الحق، أصله فقرك إلى الله، و(ما طلب لك شيء مثل الاضطرار، ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذل والافتقار)، و(ما الشأن وجود الطلب، إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب)، ومتى رزقت أدب الذل إلى ربك العظيم فأبشر

[16] قاله ابن عطاء في لطائف المنن.

[17] نفس المصدر.

بعاجل حصول الطلب، فـ(لا تطالب ربك بتأخر مطلبك، ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك).

• ماذا أطلب؟:

إعلم أن خير ما تطلبه من ربك: الهداية إليه، ليعرفك بنفسه، ولتكون له عبداً، فإن (خير ماتطلبه منه: ما هو طالبه منك)[١٨]، وأما ما قسمه لك من معيشة في الحياة الدنيا فهو أمر مفروغ منه منذ الأزل، و(جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل)، و(كيف يكون طلبك اللاحق سبباً في عطائه السابق!؟)، ولمعرفتهم ذلك من ربهم، قد ينشغل العارفون بذكره عن مسألته، ويدعونه بلسان الحال بدل لسان المقال: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) (البقرة: ١٤٤)، إذ (ربما دلهم الأدب على ترك الطلب؛ إعتماداً على قسمته؛ واشتغالاً بذكره عن مسألته)، ورضواناً بما قسم لهم وبعلمه فيهم وبما يصلحهم ويصلح لهم، وهو الحي القائم على كل نفس بما كسبت، و(إنما يُذَكَّر من يجوز عليه الإغفال، وإنما ينبه من يمكن منه الإهمال)، وربك القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، فلا تظنه ينساك، بل ظن بنفسك بعدك عنه، حين لا تستحيي أن تكون أكبر همتك

---

[١٨]قال في الفتح الرباني: (**سله، تذلل بين يديه حتى يهيئ لك أسباب الطاعة، فإنه إذا أرادك لأمر هيأك له**)/١٤١، و(**إذا تحيرت فقل: يا دليل المتحيرين دلني**)/٢٤٠.

لتحصيل من سواه، أو يقصر نظرك إلى أن تطلب ممن سواه ما لا يملكه إلا الله، والحق أن (طلبك منه: اتهام له، وطلبك له: غَيبة منك عنه، وطلبك لغيره: لقلة حيائك منه، وطلبك من غيره: لوجود بعدك عنه)، فاستيقظ من غفلتك وغيبتك عنه، واستحي من بُعدِك وقلة حيائك منه، وعود قلبك الرضا بما قضاه، وهو طريقك للرضا به دون سواه، واسأله -بعبوديتك له-، أن يجعلك -بربوبيته لك- كما يحب: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: ٥)[١٩]، وليكن خير دعائك: (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة: ٦).

[١٩] قال في الفتح الرباني: (**(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: ٥): هذا خطاب لحاضر!**)/١١٥.

رابعاً: ماذا أفعل؟ (روح الأعمال): (وَقُلِ اعْمَلُوا **فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ** وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة: ١٠٥)

- **الإخلاص: روح العمل**

وإنما الصراط المستقيم: تحقيق (الاخلاص لله) في نفسك: (أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) (الزمر: ٣)، وأنت معظم مقيم لشعائر الله وشرائعه؛ وعامل لتحقيق (العدل) وهو أدبك مع الخلق: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل: ٩٠)؛ وعامل لتحقيق (الاصلاح) في الأرض وهو أدبك مع الجمادات: (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود:٦١)، ومهما أقمت العدل وأردت الإصلاح في عملك فإن (الأعمال: صورقائمة، وأرواحها: وجود سر الاخلاص فيها)[٢٠]، وهو إخلاص تشهد فيه خلق الله لعملك وأنه ليس لك من الأمر شئ حتى وأنت تطيع، مثلما أنك تستصغر أي عمل منك بجانب عظمة من أخلصت له، فـ(لا عمل أرجى للقلوب من

[٢٠] الاخلاص روح العمل، قال في الفتح الرباني: (**من تزين للناس بما ليس فيه مقته الله عز وجل**)/١٩٤، وطهارة الباطن من الرياء أولى الواجبات: و(**أول ما يعمر داخل الداخل، فلا كان ظاهر بلا باطن**)/١١١، لأنه (**كما لا يحل لك أن تدخل على الملوك مع نجاسة ظاهرك، لم تدخل على مالك الملوك الذي هو الحق عز وجل مع نجاسة باطنك**)/١٣٨، وكذلك فـ(**قلب فيه بدعة، كيف ينظر إلى الحق عز وجل!**)/١٩٢.

عمل يغيب عنك شهودُه، ويُحتقر عندك وجودُه)، وبهذا الزهد بما قدمت يُبارَك لك في قبوله، و(ما قل عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب)، وإنما (المؤمن يشغله الثناء على الله، عن أن يكون لنفسه شاكراً، وتشغله حقوق الله، عن أن يكون لحظوظه ذاكراً)، وأعظم النعمة أن ترزق الطاعة وتشهد أنها (به) كانت، ويجتمع القلب منك ليكون كله (له) وحده، و(متى رزقك الطاعة، والغنى به عنها، فاعلم: أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة)، واعلم أنه (لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلاً للقبول)، ومن ذا الذي يخلص قلبه من العجب والرياء إن نسب (لنفسه) طاعة رب الأرض والسماء، ف(أنت إلى حلمه إذا أطعته، أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته)، فلا تشغل نفسك بذكر حظك من عملك، إذ (متى طلبت عوضاً على عمل: طولبت بوجود الصدق فيه، ويكفي المريد وجدان السلامة).

• الطاعة كلها خير

إن للعمل الصالح حلاوة في القلب، وزيادة في القرب، فإن وجدتهما فاعلم أن (وجدان ثمرات الطاعات عاجلاً: بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلاً)، والطاعة كرامة حال حصولها، لأن (الكرامة هي الاستقامة) على مراد الله، وهو فضل يؤتيه الله من يشاء ويمنعه عمن يشاء: (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) (الحج: ١٨)، فأنت حين تكون في حال ذكر لربك فهو قد (أكرمك بكرامات ثلاث: جعلك ذاكراً له، ولولا فضله لم تكن أهلاً لجريان ذكره عليك، وجعلك مذكوراً به؛ إذ حقق نسبته لديك،

وجعلك مذكوراً عنده، فتمم نعمته عليك): (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) (البقرة: ١٥٢)، كما تعقب العمل الصالح المتَقَبَّل بركات في الدنيا، وهدايات إلى ما يشاء ربك من الخير، فـ(من وجد ثمرة عمله عاجلاً: فهو دليل على وجود القبول آجلاً)، ومهما كان عملك قليلاً فلا تيأسن من عطاء الرب الكريم، الذي يفتح لمن يشاء باب القرب، ويختص به من يشاء، فـ(إذا فتح لك وجهة من التعرف: فلا تبال معها إن قل عملك، فإنه مافتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك، والأعمال أنت مهديها إليه، وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك؟)، وأنظر فيما مضى من عمرك وما كان من عطائه وتأمل كرمه، وأنظر ما كان منك من عمل واخش تقصيرك، فـ(إذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء: فاشهد ما منه إليك، وإذا أردت أن يفتح لك باب الخوف: فاشهد مامنك إليه)، ولا تشك في رحمة الله إن كنت قد استغرقتك الغفلة، فإن (من استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرجه من وجود غفلته: فقد استعجز القدرة الإلهية: (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً) (الكهف: ٤٥))، ولا تقنط من كرم ربك وأنت تشهد قصور خشوعك، فـ(لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور، فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلاً)، وحتى إن غاب قلبك، فـ(لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره: أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة؛ إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة؛ إلى ذكر

مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور؛ إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور، (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) (إبراهيم: ٢٠)).

• الطاعة ألوان!

سواء ذكرت ربك في نفسك، أم عدلت مع خلقه، أم أصلحت ما خلقه لك، فأنت في طاعة[٢١]، ما دمت مقيماً لذكره –استجابة لمأمور أو اجتناباً لمحضور–، إذ (لما علم الحق منك وجود ملل: لون لك الطاعات، وعلم ما فيك من وجود الشره: فحجرها عليك في بعض الأوقات؛ ليكون همك إقامة الصلاة، لا وجود الصلاة، فما كل مصل مقيم)، وقد جعل الله قرة عين حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم في الصلاة، ذلك أن (الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب، واستفتاح لباب الغيوب)، و(الصلاة محل المناجاة، ومعدن المصافاة: تتسع فيها ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار)، يضاعف فيها العطاء والمدد من لدن ربك الكريم مع قلة عددها وهوان همتك فيها، إذ (علم وجود الضعف منك: فقلل أعدادها، وعلم احتياجك إلى فضله: فكثر أمدادها)، ومن رحمته بك أن قيدها بأوقات وجعل في الوقت سعة، ف(قيد الطاعات بأعيان الأوقات: كي لا يمنعك عنها وجود التسوف، ووسع عليك الوقت: كي تبقى لك حصة الاختيار)، وكل

[٢١] نقل في الفتح الرباني عن بعضهم –ولم يسمه–: (**الخير كله في كلمتين**: **التعظيم لأمر الله عز وجل، والشفقة على خلقه**)/١٠٦.

هذا من تمام علمه بحالك وفضله عليك، فلا تضيعن بقلة خشوعك محل مناجاتك ونبع أمدادك من ربك الودود.

• وماذا إن حصل الذنب؟

(إذا وقع منك ذنب فلا يكن سبباً ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك؛ فقد يكون ذلك آخر ذنب قُدِّر عليك)، فهو (ربما فتح لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وربما قضى عليك بالذنب: فكان سبباً في الوصول)، وإن ذنباً تبكي بعده ليلاً نادماً ذليلاً لربك، خير لك من أن تكون من الذين (يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا) (آل عمران: ١٨٨)، وإن (معصية أورثت ذلاً وافتقاراً، خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً)، فلا تجعل المعصية تخرسك عن التوجه إليه، وأعلم أن إحسان الله إليك لا توقفه إساءتك ما دام ظنك بربك كمال الاحسان، فـ(من عبر من بساط إحسانه: أصمتته الإساءة، ومن عبر من بساط إحسان الله إليه: لم يصمت إذا أساء)، فـ(لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى؛ فإن من عرف ربه: استصغر في جنب كرمه ذنبه)، فـ(لا صغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله)، و(ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة)، فلا تعتمد على ما قدمت، فإنه لن يدخل أحد الجنة بمحض عمله، إلا أن تسعه رحمة ربه، وإن (من علامة الاعتماد على العمل:

نقصان الرجاء عند وجود الزلل)، فاجعل حسن ظنك بالله وثقتك بعظيم رحمته خير عملك، مهما كانت زلتك.

• لا تؤجل هجرتك!

لا تؤجل هجرتك إلى ربك، فإن (الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه، وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه)، وإن (إحالتك الاعمال على وجود الفراغ: من رعونات النفس)، فإنك إن كنت راجياً رحمته فـ(الرجاء ما قارنه عمل، وإلا فهو أمنية)[٢٢]، وإن (من علامات موت القلب: عدم الحزن على مافاتك من الموافقات[٢٣]، وترك الندم على مافعلته من وجود الزلات) ، كما أن تضعضع العزم عن فعل الطاعة لا ينفع معه الندم، لأن (الحزن على فقدان الطاعة -مع عدم النهوض إليها- من علامات الاغترار)، فهلا تنظر بعين الاعتبار؟، و(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) (الحديد: ١٦)؟

---

[٢٢] قال في الفتح الرباني: (**يهتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل**)/٢١.

[٢٣] قال في الفتح الرباني: (**من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان أمسه خيراً من يومه فهو محروم**)/١٠٣.

خامساً: القدر: (ماذا يفعل (هو) بي؟): (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر: ٤٩)

• القدر: (نظام العلاقة بالله)

مثلما أنه قد خلقك من قبل ولم تك شيئاً، فإن الله صانعك على عينه مدة عمرك، وجاعلك له كما يحب: متى فعلت ما يحب!، وإنما (يربيك) ربك بقدره، ف(ما من نَفَسٍ تبديه: إلا وله فيك قدر يمضيه)[٢٤]، وإنما يقدر ويخلق بعظمته وحده: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر: ٤٩)، وهو يتدرج بك ليوصلك إلى كمالك الممكن بتدبيره وقضائه، فيربو ويزيد قربك كلما بذلت وسعك و(جاهدت) لتسجد ولتقترب: (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (العلق: ١٩)، فيكون القدر الذي يقدره لك: تدبير خالقك الخاص بك، وهو نظام محكم للتربية الإلهية لك، أعلى من قدرتك ولا تغيره مجرد همَّتِك، لأنه موجود قبلك بتقديره وحكمته، وإن (سوابق الهمم: لا تخرق أسوار الأقدار)، و(إلى المشيئة يستند كل شيء، ولاتستند هي إلى شيء)، لأن ربك أعلم بك منك، وهو (اللطيف) الذي يتوصل إلى مراده فيك بما خفي من الأسباب، و(من ظن انفكاك لطفه عن قدره: فذلك لقصور نظره)، وهو به قد كفاك هَمَّ تدبير شأنك وأنت في طريقك للهجرة

---

[٢٤] قال في الفتح الرباني: (**كل لحظة له أمر ونهي يخصه من حيث قلبه**)/٨٤.

إليه ف(أرح نفسك من التدبير، فما قام به غيرك عنك؛ لا تقم به لنفسك)، و(لا تتكلف ما كُفيت، ولا تضيع ما استُكفيت)[25]، فهو قد كفاك شأنك كله بحسن تدبيره ولطف تقديره، فلا تضيع ما يحبه منك وأمرك به، وإن (اجتهادك فيما ضُمن لك، وتقصيرك فيما طُلب منك: دليل على انطماس البصيرة منك)، وإنما مراد الله منك تحقيق عبوديتك والرضا بمقامك، ومكابدة أقداره بكدحك، بما آتاك هو من مقادير، تبتغي بذلك وجهه، مثلما يعلمك شيخ العارفين عبد القادر الكيلاني قدس سره: (نازعت أقدار الحق، بالحق، للحق)[26].

- **ربك يربيك بقدره:** (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه: ٣٩)

يقدر الله عليك مدة العمر الخير والشر، واللذة والألم، ليربيك: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) (الأنبياء: ٣٥))[27]، وقصة عمرك السابق تحكي حسن تدبيره واختياره لك، فحين يبتليك بالشر (وليخفف ألم البلاء عنك:

---

[25]قال في الفتح الرباني: (**إعرف قدرك ولا تتطاول إلى شيء لم يُقسم لك، وافق الحق عز وجل في مقدوره فلا جرم يوفقك ويلطف بك**)/٢٣٨، و(**ازهد في مشيئتك لتظفر بمشيئة الحق عز وجل**)/٣١٧، وإن من وطن قلبه على حسن التوكل على الله فقد ضمن كفاية الله له: (**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**) (الطلاق: ٣)، واستحق حب ربه: (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**) (آل عمران: ١٥٩).

[26]مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٥٤٧/٨.

[27]قال في الفتح الرباني: (**لولا الامتحان لكثرت الدعاوى**)/٢٩١.

علمك بأنه -سبحانه- هو المبلي لك، فالذي واجهتك منه الأقدار: هو الذي عودك حسن الاختيار)، وحين يبتليك بالخير، فإن الشكر طريقك لقربه عند ورود النعم، و(من لم يشكر النعم: فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها: فقد قيدها بعقالها)، وإنما يكون البلاء والامتحان من ربك رحمة حين تغفل عنه وهو قد غمرك قبل بلطفه وإحسانه، فـ(من لم يُقبِل على الله بملاطفات الاحسان: قِيدَ إليه بسلاسل الامتحان)، وفي كل تدبيره لك: سعي بك إليه، فهو (متى أعطاك: أشهدك بره، ومتى منعك: أشهدك قهره، فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه عليك)، وهو الأعلم بما يصلحك وما يصلح لك من العطاء، فـ(ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك)، وإنه (من تمام النعمة عليك: أن يعطيك ما يكفيك، ويمنعك ما يطغيك)، و(إنما يؤلمك المنع؛ لعدم فهمك عن الله فيه)، ولو عرفت ربك اللطيف لفهمت جمال معنى تعرفه عليك بتدبيره، فـ(العطاء من الخلق حرمان، والمنع من الله إحسان)، لأن العطاء من الخلق فتنة، واللجوء إلى ربك عند المنع رحمة ونعمة، وربما يأتيك وقت تعلم فيه أن ربك -إذ منعك- قد صرف عنك بلطفه ما لم تكن تعلمه، و(متى فتح باب الفهم في المنع؛ عاد المنع عين العطاء)[٢٨]، إذ تشهد تربية ربك لك في كل نفس تبديه، وإنما (الغافل إذا أصبح ينظر: ماذا يفعل؟، والعاقل ينظر: ماذا يفعل الله به؟).

---

[٢٨] قال في الفتح الرباني: (**لو صبرت مع الله عز وجل لرأيت عجائب من لطفه**)/١٥٩.

• علامات على طريق فهم الاقدار:

عرفت أن ربك يربيك بقضائه وقدره، وأن ثمرات الصلاح والفساد في الأعمال كائنة في تشكيل قدرك القادم في الدنيا مثلما في الآخرة خيراً أو شراً، و(جل ربنا أن يعامله العبد نقدا، فيجازيه نسيئة)، فقدرك يتشَكَّل بك ويُشكِّلُك، وإن لله سنناً لا تتخلف ولا تحابي في معاملته لك، يتقرر بها مصيرك، بل ومصير الأمم من بني آدم، وهي فاعلة حتماً ووعودها قادمة حقاً، ف(لا يُشَكّكَنّك في الوعد عدم وقوع الموعود -وإن تعين زمنه- لئلا يكون ذلك قدحاً في بصيرتك، وإخماداً لنور سريرتك)، وإن لحصول آثارها سمات يعرفها المتوسمون: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) (الحِجْر: ٧٥)، فيعرفون الناس بعلامات يشهدونها فيهم، ويفهمون من أقدار الله ما يفتح الله به عليهم، ومن هذه العلامات مايكون بينك وبين ربك، ومنها ما يكون بينك وبين خلقه، ومنها مايكون بينك وبين نفسك:

فمما تراه مما يكون **بينك وبين ربك** من علامات أنه: (**متى** أطلق لسانك بالطلب: فاعلم أنه يريد أن يعطيك) ما تريد، كما يريد، فهو قد (ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختار لنفسك، وفي الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد)، وذلك من كمال إحسانه إليك ولطفه بك، وأنه لا يرد دعوة داعٍ ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم، وكذلك فاحذر أن تكون جاهلا بقدر ربك وتتمادى في غفلتك مع وجود إحسانه عليك، فإن (من

جهل المريد: أن يسىء الأدب؛ فتؤخر العقوبة عنه، فيقول: لو كان هذا سوء أدب لقُطع الامدادُ وأوجب الابعادَ، فقد يقطع المدد عنه من حيث لايشعر، ولو لم يكن إلا منع المزيد، وقد يقام مقام البُعد وهو لا يدري، ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد)، فـ(خف من وجود إحسانه إليك، ودوام إساءتك معه: أن يكون ذلك استدراجاً لك: (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ) (الأعراف: ١٨٢))[٢٩].

ومما يكون **بينك وبين الخلق** أنه: (**متى** أوحشك من خلقه فاعلم: أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به)[٣٠]، فمهما صار لك من الأذى من أحب الخلق إليك، فهو علامة لك على فتح باب الأنس بمن هو الأولى بالحب، وأعلم أنه (إنما أجرى الأذى على أيديهم: كي لا تكون ساكناً إليهم، أراد أن يزعجك عن كل شيء: حتى لا يشغلك عنه شيء)، وهو الأعلم بك، فـ(**متى** آلمك عدم إقبال الناس عليك، أو توجههم بالذم إليك:

[٢٩] ومن هذه العلامات –إضافة لما سبق-: (من علامة محبة المحبوب كثرة ذكره، ومن علامة المزيد كثرة شكره، ومن علامة التوفيق اجتناب نهيه وامتثال أمره، ومن علامات الرضا الاستعمال في الأوقات الفاضلة بصالح بره، وغلبة خيره على شره)، ذكرها ابن عطاء في (القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد)/٧٤.

[٣٠] قال في الفتح الرباني: (**إذا أراد الله انقطاع عبد إليه؛ أول ما يوحشه من بني آدم**)/٣٥٤.

فارجع إلى علم الله فيك، فإن كان لا يقنعك علمه؛ فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه، أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم)، وهل من أنس أعظم من تعاملك مع من يعلم السر وأخفى؟، وقد صنعك على عينه، وجاء بك إليه على قدر منه وتدبير؟

ومما يكون **بينك وبين نفسك**، فاعلم أنه (**متى** جعلك في الظاهر ممتثلاً لأمره، ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره: فقد أعظم المنة عليك)، حين تحقق عبوديتك **وتجتهد لتكون كما يحب في كل ما يحب، وتشهد الفضل في ذلك كله: له وحده**، وأنك: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) (آل عمران: ١٢٨)، وهي كمال منزلة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: ٥).

سادساً: (أين يجب أن أكون؟): (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) (الصافات: ١٦٤):

- **فقه المقام:**

إعلم أنك قد خلقت لأمر معلوم، خصك به ربك دون الخلق، ومثلما أن السماء تئط من ثقل جنود ربك من الملائكة الساجدين الذين لا يعلمهم إلا هو، وأن كلاً منهم يعرف مقامه، فإن لك في الكون مقاماً خاصاً بحسب حالك: (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا) (البقرة: ١٤٨)، ولكل مخلوق مقام عند ربه وعمل وحال: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) (الإسراء: ٨٤)، ولكلٍّ مقام يوم لقاء الله: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا) (الأنعام: ١٣٢)، وقد (تنوعت أجناس الأعمال، لتنوع واردات الأحوال)، ولاختلاف حالك عمن سواك، فإن تحقيق عبوديتك ولتكون عند مراد ربك، **يحتم عليك فقهاً دقيقاً (للمقام) وللموضع الذي خلقت له وخلق لك في الوجود**، وفقه جنس ما يوافق جبلتك من عمل، وهو متعلق بظاهر ما أودعه ربك فيك وباطنه، و(كل ميسر لما خلق له)، و(كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) (النور: ٤١)، فاجتهد لأن تكون حيث أقامك مولاك، و(ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه)، وإن ساعة في العمر تكون فيها وفق مراد ربك في الوقت تختصر عمرك كله،

مثلما كانت لعبد صالح قبلك: (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ**) (يوسف: ٢٣)، ولأخيه من بعده: (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ* قَالَ **كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي** سَيَهْدِينِ) (الشعراء: ٦٢)، فاحرص على فقه مقامك وتحصيل ساعة موافقة مراد ربك، لعلها تكون لك خير ما قدمت في كل العمر، ولتكون معيار جزائك على كل ما كان منك من عمل في العمر: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ **بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) (النحل: ٩٧).

• مقامك: قَدْرُك!

اجتهد لأن تعرف أين مقامك وما هو (حالك)، وذلك يكون بحسب ما تعرفه عن ما أودعه فيك فيما مضى من عمرك من (الاستعداد) وهو يربيك، ثم في مقامك الآن، بين ما خلقه لك وما خُلِقت لأجله، و(من علامات إقامة الحق لك في الشيء: إقامته إياك فيه مع حصول النتائج)، فاعتبر حالك، واجتهد لملء مقامك حيث أقامك بأكمل الإتقان، أباً أو ابناً، معلماً أو متعلماً، مريضاً أو طبيباً، و(إذا أردت أن تعرف قدرك عنده: فانظر فيم يقيمك)، وكيف عملك لملء مقامك، و(لا تطلب منه أن يخرجك من حال؛ ليستعملك فيما سواها، فلو أرادك: لاستعملك من غير إخراج)[٣١]، فمقامك حيث أقامك، كائناً حيث أرادك مولاك، مشتغلاً

[٣١]قال في الفتح الرباني: (**لا تؤهل نفسك لشيء لم يؤهلك الله عز وجل له**، ....، **إذا أرادك لأمر هيأك له**)/٩٦.

بتحصيل مراده وتحقيق عبوديتك، بما كلفك من مكابدة لأقداره بكل ما ييسره لك من أسباب، مستيقناً أن قدرة ربك مطلقة عن كل سبب، وأن الذي خلق النار محرقةً جعلها برداً وسلاماً على خليله إبراهيم، فإذا أقامك في حال أشهدك فيه إطلاق قدرته وتجردها عن الأسباب فقم فيه بعالي همتك لشهودها، وإن أقامك حيث يجب عليك الأخذ بكل الأسباب فلا تستنكف بذل أقصى جهدك لتحصيلها، فإن (إرادتك التجريد –مع إقامة الله إياك في الأسباب– من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب –مع إقامة الله إيّاك في التجريد– انحطاط عن الهمة العلية)، فليس الأمر مجرد خرق لبعض السنن لعبد من العباد، وإنما الأصل التحقق في مقام العبودية بكل فقرها وذلتها، والرضا بشهود آثار الربوبية بكل ظواهرها.

• لكل وقت من العمر؛ حق ثابت لله ومقام واجب على العبد:

إن من فقه المقام تذكر أن أنفاسك في الدنيا معدودة، وأن الواجبات تتعدد بتعدد الأنفاس، فاحرص على أن تكون في كل نفس تبديه عند المقام الذي يحبه منك، لأن اللحظة التي تمضي ولا تكون فيها وفق مراد ربك في مقامك لن تعود أبداً، ولعلك تقضي صلاة فائتة أو صيام يوم أفطرته بعذر، ولكنك لن تقضي حق ربك الذي ترشحك له صلاتك: في تغيير الدنيا في غير أوقات الصلاة -وهي بقية عمرك-، وهو حق أن وهبك ربك وقت عمرك، فـ(حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها: إذ ما من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد، فكيف تقضى فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه؟!)، واعلم أن (ما فات من عمرك: لا عوض له، وما حصل لك منه: لا قيمة له)، لأن الباقي من ما مضى من عمرك هو عملك فحسب، وهو لا يقدر بقدر، فلا تضيع ساعة في غير الكون على مراد ربك في الوقت، عدلاً بين الخلق أو إصلاحاً للحياة.

ويمكن لهذا النَفَس أو لهذه اللحظة أن تكون بداية مشرقة جديدة ترشحك لنهاية مشرقة، فإن (من أشرقت بداياته: أشرقت نهاياته)، وإن (من علامات النُّجح في النهايات: الرجوع إلى الله في البدايات)، فلتكن بدايتك

الآن، وبادر للكون في المقام الذي يريده لك ربك ليشرق على قلبك نور الحق، فإن (الأغيار) من شواغل الدنيا التي تصرفك عن مراقبة حالك ومقامك مع ربك لا تنتهي، فـ(لا تترقب فراغ الأغيار، فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له، فيما هو مقيمك فيه)، وإن حسن فقهك لمقامك وكونك حيث يريد ربك وحين يريد: طريق للبركة في عمرك، و(من بورك له في عمره: أدرك في يسير من الزمن -من منن الله تعالى- ما لا يدخل تحت دوائر العبارة، ولا تلحقه الإشارة)، فيفتح لك بكرمه من مدد قربه ما يشاء في أمد قصير، و(رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده، ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده)، فلُمَّ شمل نفسك وشُدّ عزمَك[٣٢]، وابدأ لكي تكون كما يريد حيث يريد، وارتق مدارج سلوك طريق هجرتك إليه.

---

[٣٢]قال في الفتح الرباني: (**على قدر همتك تعطى**)/١٠٩.

الباب الأول

الهجرة إلى الله!

الباب الأول

الهجرة إلى الله!

الهجرة: هي استجابة لأمر الذي خلقك بالفرار إليه: (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) (الذاريات: ٥٠)، وقد هاجر من قبل خليل الله: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) (الصافات: ٩٩)، وتبعه مؤمن له: (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي) (العنكبوت: ٢٦)، وهرع بعده إليها الكليم: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) (طه: ٨٤)، وبها كان أمر الله لسيد الأولين والآخرين عليه الصلاة والسلام: (وَاسْجُدْ **وَاقْتَرِبْ**) (العلق: ١٩)، فسجد واقترب وأدرك ثمرة هجرته حتى: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (النجم: ١٨).

١- الفكرة:

وأول خطوة في السلوك للهجرة إلى الله: لحظة **خلوة وفكرة**، تتعظ فيها بما وعظك به ربك: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى

وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا) (سبأ: ٤٦)، فتخلو بنفسك وتتفكر بقلبك، و(ما نفع القلب شيء مثل عزلة، يدخل بها ميدان فكرة)[٣٣].

وأول **الخلوة** عزم في القلب على اليأس من مديح الناس وإرضائهم، حتى يخلو من تفاخرهم وتنافسهم، فتخرج نفسك من سماء إرادة الشهرة بينهم وتدفنها في خلوة أرض الخمول، بعيداً عن رضى من سوى الله، وزينة التفاخر بين الناس والسمعة بينهم، لتكون للشجرة الطيبة فيك تربة تنبت فيها حتى يتم نتاجها الصالح، فـ(ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه)، ومع هذه الخلوة تبدأ **الفكرة**، وأولها تفكر في ما عدا الله –سبحانه– من حيث دلالته على الله، فـ(الفكرة: سير القلب في ميادين الأغيار): (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران: ١٩١)، ثم التفكر في نور آيات ربك وتدبرها: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد: ٢٤)، وهي الباب لحياة قلبك: (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال: ٢٤).

---

[٣٣]قال في الفتح الرباني: (**الخلوة: عبارة عن التعري من حيث جميع الاشياء**)/٢٣٣، و(**الاستئناس بالغربة والخلوة مفتاح القرب**)/٣٥٨، فـ(**إذا صبرت على الوحدة جاءك الأنس بالواحد**)/١٤٩.

ومع هذه الفكرة يبدأ (النور) الذي ترى به حقيقة نفسك وما حولك، ف(الفكرة سراج القلب، فإذا ذهبت: فلا إضاءة له).

٢- الفقر[٣٤]:

وأول نور الحقيقة التي يشرق بها سراج الفكرة على القلب معرفة فقرك الذاتي إلى ربك الذي خلق السماوات والأرض، **وأن تعلم وأنت تتهيأ للسلوك إلى حضرة الله: أن الله غني عن كل ما سواه**، فقد (كان الله ولا شيء معه، وهو -الآن- على ما عليه كان)، وإنما أنت الفقير إليه، مثلما هو حال كل من خلق: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ **أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ** وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (فاطر: ١٥)، وكيف لا تكون فقيراً وإنما أوجدك بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً، وأمدك بعد إيجادك بما فيه قيامك، ولا دوام لوجودك إلا بمدده، فهما (نعمتان ما خرج موجود عنهما، ولا بد لكل مُكَوَّن منهما: نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد)، فاجتهد أولاً لتضع نفسك موضع العبد منه، و(اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك؛ لتكون: لنداء الحق مجيباً، ومن حضرته قريباً)، وإن معرفة العبد بنفسه ومعرفته بربه تنتجان فقراً هو عين سعادة العبد، وتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في

---

[٣٤] قال ابن القيم في (طريق الهجرتين): الفقر: اسم للبراءة من رؤية الملكة، فالفقير هو الذي يجرد رؤية الملك لمالكه الحق، فيرى نفسه مملوكة لله، لا يرى نفسه مالكاً بوجه من الوجوه.

هاتين **المعرفتين**، ولن يخرجك عن وصف نفسك بأقل الغنى سوى شهود **معرفة** ربك بالغنى المطلق، **فتعرف** نفسك بالفقر المطلق، فـ(لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف)، وإن أول السلوك: فقه مقامك منه، وتحقيق فقرك إليه، والتوجه إليه بأكمل ذُلِّك وعجزك وضعفك، فـ(تحقق بأوصافك: يمدك بأوصافه، تحقق بذُلِّك: يمدك بعِزِّه، تحقق بعجزك: يمدك بقدرته، تحقق بضعفك: يمدك بحوله وقوته)، وهذا التحقق من فقرك وفاقتك إليه هو عيدك الحقيقي إن مكن الله قلبك منه، فإن (ورود الفاقات: أعياد المريدين)، وورودها عليك يجعل لصلاتك وعبادتك روحاً وطعماً، حتى (ربما وجدت في المزيد من الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة)، لأن (الفاقات بسط المواهب)، ومع وجودها يبدأ وجودك في السلوك إلى حضرته، وترد عليك منه ما يشاء من مواهب ربك الكريم وارداته، وإنك (إن أردت ورود المواهب عليك: صحح الفقر والفاقة لديك: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) (التوبة: ٦٠))[٣٥]، وهل يُتَصَدَّق إلا على فقير؟، فضع نفسك أيها الفقير حيث فقرك، واخرج عن كل ما يناقض عبوديتك له وحده، واقترب من حضرته، ليحقق فيك كرمه، ويهبك ما يشاء من موارد نعمه، وهو حال الرب مع عبده: (من جاءنا تلقيناه من البعيد، ومن تصرف بحولنا أَلَنَّا له

---

[٣٥] قال في الفتح الرباني: (**قفوا بين يديه على أقدام الإفلاس من عقولكم وعلومكم لتنالوا علمه، تحيروا ولا تتخيروا**)/١٤٣.

الحديد، ومن اتبع مرادنا أردنا ما يريد، ومن ترك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد)[٣٦].

٣- **التوبة والاستغفار:** (**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**) (هود: ٣):

وإذ يتلقاك -أيها الفقير المهاجر- ربك الغني من البعيد، تستحيي من نفسك، وأنت تعلم أن التحقق بالفقر لن يصح بلا (**توبة**) عما كان منك، تطهر القلب بالاقلاع عما لا يحبه الله، مع الندم على ما فات، والعزم على عدم العودة إليه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً) (التحريم: ٨)[٣٧].

[٣٦] ذكره ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى: ١٠/٥٥٠، وقال: (حدثني أبي عن محي الدين بن النحاس، وأظنني سمعتها منه، أنه رأى الشيخ عبد القادر في منامه وهو يقول إخباراً عن الحق تعالى: (من جاءنا تلقيناه ...).

[٣٧]قال في الفتح الرباني: (**التوبة قلب دولة!، تقلب دولة نفسك وهواك وشيطانك**)/١٠٨، وإن (**شجرة الغفلة تربى بماء الجهل، وشجرة اليقظة والمعرفة تربى بماء الفكر، وشجرة التوبة تربى بماء الندم، وشجرة المحبة تربى بماء الموافقة**)/١١٢.

فالفكرة بنورها تدلك على الله، حين تجردك وتقودك إلى معرفة حقيقة نفسك وحقائق الاشياء، إذ إن امتلاء القلب بصور الأشياء دون حقائقها يغشيه بظلمة تحول دون وصول هذا النور، ولكن ذلك القلب –مع وجود النور بعد الفكرة– تراه يقعد عن الهجرة، إذ يشله تعلقه بالشهوات عن العزم على الهجرة إلى ربه، إذ إن براءة القلب وطهارته تنتقض بالمعاصي[٣٨] التي قد يقوده إليها ذلك التعلق بالشهوات حتى لا يصلح للسلوك إلى حضرة الله، وتعمى بصيرة قلبه عن فقه سر وجوده، فلا ينتفع بسراج الفكرة لتأخره عن (التوبة) عن معاصيه وزلاته، و(كيف يشرق قلب؛ صور الأكوان منطبعة في مرآته؟...

أم كيف يرحل إلى الله؛ وهو مكبل بشهواته؟.........................

أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله؛ وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟..

أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار؛ وهو لم يتب من هفواته؟...)، فالتوبة شرط للهجرة مثلما الوضوء شرط للصلاة.

ويكمل هذه التوبة –عن **ما يكون** من الذنوب–: (استغفار) عن ما **كان** منها: (**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**) (هود: ٣)، **والتوبة والاستغفار يستغرقان أزمان ما يكون من العبد من فعل ماضٍ ومستقبل، وبهما يكون العبد –بنيَّته– في كل أوقاته لله.**

---

[٣٨] قال في الفتح الرباني: (**أكل الحرام يميت قلبك**)/١٨٣.

٤- الذكر: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً) (الأحزاب: ٤١)

متى شرعت بالهجرة، وتحققت بفقرك إلى من تهاجر إليه، واستغرَقَت **التوبة والاستغفار أزمان أفعالك** بعد الفكرة، وعزمت على الثبات للوصول، فاعلم: أن سبيل الورود على الله هو (ذكره) كما أمرك[٣٩]: (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) (الأعراف: ٢٠٥)، وأعلاه صلاتك بالليل: (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا

---

[٣٩] قال الامام الغزالي: ((في تعريف طريق السلوك إلى الله تعالى): وذلك بالتبتل كما قال تعالى: (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) (المزمل: ٨)، أي انقطع إليه، والانقطاع إليه يكون بالاقبال عليه والاعراض عن غيره، وترجمته قوله: (لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً) (المزمل: ٩)، والاقبال عليه: إنما يكون بملازمة الذكر، والاعراض عن غيره: يكون بمخالفة الهوى والتنقي عن كدورات الدنيا وتزكية القلب عنها، والفلاح نتيجتها كما قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) (الأعلى: ١٥)، **فعمدة الطريق أمران: الملازمة،والمخالفة، الملازمة لذكر الله تعالى، والمخالفة لما يشغل عن الله**، وهذا هو السفر الى الله وليس في هذا السفر حركة لا من جانب المسافِر ولا من جانب المسافَر اليه فإنهما معاً، أَوَما سمعت قوله تعالى وهو أصدق القائلين: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (ق: ١٦))، جواهر القرآن ودرره/١٢.

قَلِيلاً* نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) (المزمل: ٤)، وهذا الذكر هو السبيل لحصول ذكرك عنده: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) (البقرة: ١٥٢)، فمثلما أمرك ربك بذكره، فقد جعل من ثمرات هذا الذكر: أن يذكرك هو -بأن يُجرِيَ على لسانك ذكره-، وإنما يكون **الذكر بدوام إرادة الكون على مراد الله،** وحبه وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، واتباعه بالاستقامة على فعل الطاعات وتجنب المحرمات[٤٠]، وتعهد الصلوات في المساجد، وقيام الليل، فاستدامة ذكر الله بورد دائم من القرآن، والمواظبة على الاستغفار والتسبيح والتهليل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء به الكتاب والسنة[٤١]، وهذا (وردك) على الله، فالورد عمل اليوم

---

[٤٠] قال في الفتح الرباني: (**أكثر من طاعة الله عز وجل فإن طاعته ذكره**)/١١٢.

[٤١] **ومثال ذلك الورد بعد قيام الليل، وقبل صلاة الفجر:**

١- استغفار مائة مرة وقت السحر مع سؤال الله التوبة.

٢- مائة تسبيحة قبل ركعتي الفجر او بعدها، أفضلها بالباقيات الصالحات (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر).

٣- وبعد أذكار ما بعد صلاة الصبح يجلس إلى شروق الشمس، يبدأ بـ (لا إله إلا الله) مائة مرة، ثم يقول (اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله وسلم تسليماً) مائة مرة.

٤- يختم بورده الدائم من القرآن.

وغير ذلك كثير مما يمكن للمهاجر إلى ربه أن ينتقيه من كتب الاذكار، ومما ثبت عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم في ذكره لربه في كل حال.

والليلة من نافلة العبادة والذكر والقيام المواظب عليها: (ولايزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه)، وهو علامة على سلوك طريق الهجرة إلى الله بعد الفكرة، إذ (ما كان ظاهر ذكر: إلا عن باطن شهود وفكر)، وهو منطلقك للتعرض لنفحات الله، ولمواهب ربانية من فضل الله، تسمى (الواردات)، فإن أقامك ربك مقام ذكر أو (إذا رأيت عبداً أقامه الله تعالى بوجود الأوراد، وأدامه عليها مع طول الإمداد: فلا تستحقرن ما منحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولابهجة المحبين، فلولا وارد ماكان ورد)، لأن الواردات ترد بنوعها الخاص على كل قلب ذاكر –بحسب خصوصيته–، من لطائف الاسرار ودقيق المعارف وخوارق العطاء والإكرام والإلهامات الإلهية، وأعظمها تثبيتك بالاستقامة على عبوديتك التي يحبها منك ربك.

واعلم أن (مطلب العارفين من الله: الصدق في العبودية، والقيام بحقوق الربوبية)، وأن (الوارد) مهما كان مطلوباً، –وهو أمر حق يزيد اليقين–، فإنه مجرد جزاء معجل لك في الدنيا، وسيكون لك منه نصيب وافر في الآخرة لا يعلمه إلا الله، وأما (الورد) فهو الذي أمرك به، وطلبه منك، وفرصتك لأدائه عمر دنياك فحسب، فإن فاتك غابت فرصتك، فلا تستقِلَّ قدر هذا الورد فإنه (لا يستحقر الورد إلا جهول، فالوارد يوجد في الدار الآخرة، والورد ينطوي بانطواء هذه الدار، وأولى ما يُعتنى به: ما لا يخلف وجوده، الورد هو طالبه منك، والوارد أنت تطلبه منه، وأين ما هو

طالبه منك مما هو مطلبك منه؟)، فاجتهد وأنت تذكر ربك وتهاجر إليه أن تحسن عملك بتحقيق الاخلاص والصفاء من شوائب الرياء والعجب والغفلة، والتدرج في مراتب السير إلى ربك بالتحقق بالتوبة والاستغفار والصبر والشكر، لأن (حسن الأعمال: نتائج حسن الأحوال، وحسن الأحوال: من التحقق في مقامات الإنزال)، وصبرك في ترقيك إليه يأتي بحب الله: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران: ١٤٦)، ومن حب الله للعبد يبدأ حب العبد لله، والحب ينقله لمنزلة الرضا، والحياة والموت في سبيل الله!

٥- الصبر والشكر

وكلما تجدد نعيم الترقي والقرب ببركات الحب عند دوام الذكر والتحقق بالفقر: زادت مراقبة العبد لله، وتهيأ للرضا بما يكون من الله، مع تقلب قلبه بين الخوف والرجاء، وهو يعلم أن نبأ الله عن الله ثابت بأن: (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) (الحِجْر: ٥٠)، وأن كل ما كان منه مما أورده عليك من نعم في حياتك، ومن حلم على زلاتك –أيها العبد–: يشهد بمغفرته ورحمته، ويفتح لك باب الرجاء على سعته، مثلما أن كل ما كان منك إليه من غفلة وزلة، يشهد بتقصيرك

ومعاصيك، ويفتح باب الخوف من عذابه الأليم[٤٢]، فـ(إذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء: فاشهد ما منه إليك، وإذا أردت أن يفتح لك باب الخوف: فاشهد مامنك إليه)[٤٣]، ولا يزال قلبك يتقلب بين الخوف والرجاء، وبين المنح والمحن، فتنبسط النفوس للمنحة ورجائها، وتنقبض للمحنة وخوفها، وبين هذا القبض والبسط يربيك ربك، لتكون من أهل الله الذين (إذا خافوا رجوا، ..، وإذا رجوا خافوا)[٤٤]، ومع الرجاء والخوف يتقلب قلب العبد الموفق بين الصبر على الضراء والقبض، والشكر في السراء والبسط[٤٥]، مع تقلب أحوال مقادير ربه وهو يقدر عليه الشر والخير فتنة: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) (الأنبياء: ٣٥)، **وبهذا يستغرق الصبر والشكر ما**

---

[٤٢] قال في الفتح الرباني: (**إن أمنك يوم القيامة من عذاب الله عز وجل على قدر خوفك منه في الدنيا، وخوفك في الآخرة على قدر أمنك في الدنيا**)/٢٠٤.

[٤٣] قال في الفتح الرباني: (**إذا نظرت إلى جلاله تفرقت، وإذا نظرت إلى جماله اجتمعت، تخاف عند رؤية الجلال وترجو عند رؤية الجمال، تنمحي عند رؤية الجلال وتثبت عند رؤية الجمال، فطوبى لمن ذاق هذا الجمال**)/١٠٨.

[٤٤] قال في الفتح الرباني: (**من غلب رجاؤه خوفه تزندق، ومن غلب خوفه رجاءه قنط**)/١١٦.

[٤٥] الصبر: حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله تعالى، والشكر: الامتلاء بذكر المنعم؛ وهو شيئان: إقرار للمنعم بالنعمة، واستعمال لها بالطاعة والصدقة.

يكون من حال العبد عند القبض والبسط، ليكون في كل أحواله على مراد الله.

ومع حب العبد للبسط ولكن (ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط: (لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً) (النساء:١١))، لأن القبض يقودك إلى أعتاب الله راجياً متذللاً، ولأن الألم يكسر حاجز الوهم، وتدرك معه كم أنت صغير ذليل مفتقر إلى رحمة ربك، فيتحقق فيك أكمل أحوالك من العبودية (**بالصبر**) وحبس النفس على مراد الله عند القبض، ما لا يتحقق في حال البسط لتقصيرك عن الشكر، و(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر: ١٠)[٤٦]، فـ(العارفون إذا بُسِطوا: أخوف منهم إذا قُبِضوا، ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل)، لأن (البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح، والقبض لا حظ للنفس فيه)، فيُخشى مع البسط فتور المراقبة لله، فـ(القبض أقرب إلى وجود السلامة، لأنه وطن العبد، إذ هو في أسر قبضة الله، وإحاطة الحق محيطة به، ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه؟، فالبسط خروج عن حكم وقته، والقبض هو الأليق بهذه الدار، إذ هي وطن التكليف وإبهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله[٤٧]).

---

[٤٦] قال في الفتح الرباني: (**من صبر قُدِّر**)/٢١.

[٤٧] قاله في لطائف المنن.

٦- الرضا بالله

إعلم أنه (بسطك: كيلا يبقيك مع القبض، وقبضك: كيلا يتركك مع البسط، وأخرجك عنهما: كيلا تكون لشيء دونه!)[٤٨]، لأن الغاية أن تكون لله ولا تكون لشيء دونه: أي ترجوه وتخافه لذاته بقطع النظر عن مظاهر النعم وعوارض الألم، فـ(من عبده لشيء يرجوه منه، أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه، فما قام بحق أوصافه)، وحق الله حب وخوف لأنه ربك ولأنك عبده!، وبنسبك الكريم هذا وحده تنبسط لوجودك في ذكره، **فالبسط الحق بسط انشراح النفس بنشوة الانتساب إلى الله والكون على مراده: إنه السرور بالله وبمراد الله!**، و(**الرضا**) به وحده، وامتلاء القلب بحبه، كمثل حال العبد الصالح الذي كان ينادي وهو يتقلب في سكرات الموت: (إي رب: اخنقني خنقاتك، فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك![٤٩]).

وفي ظلال الرضا بالله يأنس القلب بالانتساب إلى ربه، ويفنى بحبه وذكره عن كل ما سواه: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ) (البقرة: ١٦٥)،

---

[٤٨] روى في الفتح الرباني عن الجنيد قوله: (**أي شيء عليَّ مني؟ العبد وما يملك لمولاه)**/٣٠٦.

[٤٩] ذكره البوطي في الحكم العطائية- شرح وتحليل: ٣٠٣/٢، ونسبه الى معاذ بن جبل رضي الله عنه.

ويذهله الرضا بالمحبوب عما يكون من اللذة والألم، ويشهد أن الكل من لدن الله: (قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) (النساء: ٧٨)، ولا يشهد لنفسه من الفضل –بهذا الرضا– شيئاً؛ لأن الفضل كله بيد الله وحده: (قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) (آل عمران: ٧٣)، وأصل هذا الشهود التحقق بأن الله هو خالقك وخالق الذي تعمله: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات: ٩٦)، وأنت وعملك من فضله، وأن الله (إذا أراد أن يظهر فضله عليك: خلق ونسب إليك)، وإن من كمال آداب قيامك –أيها العبد– بحقوق صفات ربك أن (لا تطلب عوضاً على عمل لست له فاعلاً، يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلاً)، و(كيف تطلب العوض على عمل؛ هو متصدق به عليك؟ أم كيف تطلب الجزاء على صدق؛ هو مهديه إليك؟)، فـ(كفى من جزائه إياك على الطاعة؛ أن رضيك لها أهلاً)، و(كفى العاملين جزاءاً؛ ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته)، فـ(لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك، وافرح بها لأنها برزت من الله إليك: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس: ٥٨))، واعلم أن ربك الغني العزيز (لا يزيد في عزه إقبال من أقبل عليه، ولاينقص من عزه إدبار من أدبر عنه)، فـ(لا تنفعه طاعتك، ولا تضره معصيتك، وإنما أمرك بهذه، ونهاك عن هذه، لما يعود عليك)، وهو قد (أوجب عليك وجود خدمته ، وما أوجب عليك إلا دخول جنته)، إذ (علم

قلة نهوض العباد إلى معاملته ، فأوجب عليهم وجود طاعته ، فساقهم إليه بسلاسل الإيجاب، عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل)!

فاحذر وأنت تتحقق بفقرك بعد تفكرك، وتتقلب بين الصبر والشكر، مجاهداً لتكون لله لا لشيء دونه؛ أن تنسب شيئاً من الفضل لنفسك وأنت تهاجر إليه، فإنك لن تحقق عبوديتك له إلا إن أكرمك هو بتحقيقها فيك، فـ(كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً، وبأوصاف عبوديتك متحققاً)، فإن ذُلَّكَ له وعبوديتك لن يتحققا فيك إلا إن هو أذَلَّك وعبَّدك، فلا تدعي ما ليس في مقدورك، إذ قد (منعك أن تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين، أفيبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين!؟)، وهو وحده بكرمه الذي يتقبلك على ما فيك من مساويك وخطاياك، أو اعتدادك بطاعتك ودعاويك، وهي لا تحصى، و(لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك، ومحو دعاويك: لم تصل إليه أبداً، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه: غطى وصفك بوصفه، ونعتك بنعته، فوصلك إليه: بما منه إليك، لا بما منك إليه)[٥٠]، فيغطي مساويك بعفوه ومغفرته ورحمته، ويغطي دعاويك وعجبك بكرمه، إذ (لا نهاية لمذامّك إن أرجعك إليك، ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك)، وهو جود بلا حدود، من رب قريب

---

[٥٠] قال في الفتح الرباني: **(قد أمرك بالمسارعة من حيثك، ويوجه إليك التوفيق من حيثه، الأمر ظاهر، والتوفيق باطن)**/١٤١.

يصحبك في هجرتك إليه، وهو الأعلم بسرك، الغني عنك، فهو لك خير صاحب، إذ (ما صحبك إلا من صحبك وهو بعيبك عليم، وليس ذاك إلا مولاك الكريم، خير من تصحب؛ من يطلبك لا لشيء يعود منك إليه)[٥١]، حتى أن صحبته تزينك في أعين الخلق، بما يستره بلطفه من عيبك، فإن وصلك منهم ثناء فاعلم أن (من أكرمك: فإنما أكرم فيك جميل ستره، فالحمد لمن سترك، ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك)، فاستحي منه أن يراك حيث لا يحب أن يراك، فـ(الستر على قسمين: ستر عن المعصية، وستر فيها، فالعامة يطلبون من الله تعالى الستر فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق، والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق)، فاسأله أن يصرف عنك السوء والفحشاء، حتى تتحرر من رق الشهوة وذل المعصية، ويجعلك من عباده المخلَصين، ويلهمك البراءة من حولك وقوتك، حتى يمدك من فضله لتكون عبده، فتهاجر إليه، وتعجل ليرضى.

---

[٥١] قال في الفتح الرباني: (**كل الخلق يريدك له، والحق عز وجل يريدك لك**)/٨٩.

الباب الثاني

الأنوار والواردات

(إشارات حق في طريق الهجرة!)

الباب الثاني

الأنوار والواردات

(إشارات حق في طريق الهجرة!)

يتشوَّف العبد السالك طريق الهجرة إلى ربه إلى آيات تطمئنه وتثبته على الطريق، مثلما سألها أبو الانبياء من قبل: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى) (البقرة: ٢٦٠)، ليطمئن قلبه بعد الإيمان: (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) (البقرة: ٢٦٠)، وكذا سألها كليم الله من قبل: (رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) (الأعراف: ١٤٣)، وصعقه ما رأى: (فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (الأعراف: ١٤٣)، وطلبها زكريا من ربه ليطمئن قلبه: (رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) (آل عمران: ٤١)، وحين اشتدت ساعات البلاء على سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر إلى ربه جهاداً ودعوة، أكرمه ربه بفيض من الألطاف الإلهية – من قبل أن يسألها مثلما سألها من قبله–، في معراجه إلى السماء، حتى: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (النجم: ١٨)، ليستيقن وليطمئن، ومن لطف الله وعنايته، أن

يكرم قلب كل مهاجر إلى ربه -على قدر استعداده للتلقي-، بنور يجليه على الروح بإلهامه ولطفه، فيشرق على بصيرة القلب، ليستيقن وليطمئن، وهذا النور هو عطاء الله لعبد يحبه: (فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ **مِنْ لَدُنَّا** عِلْماً) (الكهف: ٦٥)، ولا يُسأل عن كيفيته: (قَالَ يَا مَرْيَمُ **أَنَّى** لَكِ هَذَا قَالَتْ **هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (آل عمران: ٣٧)، وإنما هو ثمرة التحقق بالإيمان والتقوى والعبودية: (**وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ**) (الحديد: ٢٨).

• ماهي الأنوار والواردات؟

إن النور: هو الأداة التي يتم بها إدراك الحقائق، ومنه نور الشمس وما يتفرع منه، والذي ندرك به الحقائق المادية من عالم الملك والشهود (بأبصارنا)، وأما حقائق الغيب وما وراء حواسنا من عالم الملكوت كمعرفة الله وصفاته فتدرك بالوحي وما جاء به القرآن والسنة، ثم بنور يأتي من اتباع هذا الوحي، يجليه الله على الروح بإلهام وإلطاف[٥٢]، فيشرق على (بصيرة

---

[٥٢] قال في الحكم العطائية- شرح وتحليل: (الروح الانسانية تمتاز بنسبتها الى الله (وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً) (الإسراء: ٨٥) ، وهي مصدر الفاعلية في الكيان الإنساني، إذ تسري للدماغ بالوعي إدراكاً ومعرفة، وللقلب بالعاطفة كالحب والبغض، ولخلايا الجسم وأعضائه للاحساس والوظيفة) (بتصرف).

القلب)، ويستقر هدياً في القلب، فترد حقائقه على البصيرة، مثلما يرد النور بحقائق الأشياء على البصر، ومثلما أن بصيرة العين لا ترى من دون نور الشمس، فإن بصيرة القلب لا ترى من دون ذلك النور: (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) (النور: ٤٠)، والناس يتفاوتون في الاستعداد لهذا النور الرباني، ويتساوون في استعدادهم لتلقي النور المادي، فالأنوار والواردات هي إلهامات رحمانية تفد إلى القلب المهاجر إلى الله، وتزيل بعض الحجب عن معارف لا تدرك بمجرد الحواس، لتعين القلب على شهود الله بعين البصيرة دون سواه، وليستيقن ذلك القلب وليطمئن، في طريق هجرته إلى ربه.

إن اليقين بعالم الغيب طريق لإدراك قدر أنوار القلوب وأسرارها، ومثلما أن نور الشمس لا يُرى إلا إن انعكس على سطح مادي، فإن هذا النور يحتاج قلباً مشرقاً باليقين بالغيب ليظهر عليه وفيه النور: (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ **يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**) (البقرة: ٣)، فـ(لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا في غيب الملكوت، كما لا تظهر أنوار السماء إلا في شهادة الملك)، وهذا النور المقصود (نور مستودع في القلوب، مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب)، يرد إلى الروح التي تشرفت بنسبتها إلى ربها: (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) (الإسراء: ٨٥)، وخطابها له: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) (الأعراف: ١٧٢)، ويطلع منها على القلب فـ(مطالع الأنوار: القلوب

والأسرار)[٥٣]، وهو كرم إلهي خاص، ورحمة لا تكون إلا من لدن الله، فـ(قلما تكون الواردات الإلهية إلا بغتة، لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد)، وحقائقها ليست كالحقائق المدركة بالحواس، فأن حواسنا وعقولنا تجزئ وتحلل لتصل الى الفهم الإجمالي عن الشئ، وأما ما يرد إلى الروح فيأتيك مجملاً، ثم بعد أن يتلقاه القلب يبدأ العقل بتجزئته للفهم، فـ(الحقائق ترد في حال التجلي مجملة، وبعد الوعي: يكون البيان: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) (القيامة:١٩)).

ومثلما يكشف نور الشمس صور الأكوان، يكشف هذا النور الوارد للبصيرة وصف المكوِّن، فالنور على نوعين: (نور يكشف لك به عن آثاره، ونور يكشف لك به عن أوصافه)، وليكون هذا النور الأخير مطية للروح والقلب توصله إلى ما خلق له، فـ(الأنوار مطايا القلوب والأسرار)، إذ تعين القلب ليعلو على ظلمات الأهواء والغرائز، بعد أن يعين صاحب القلب قلبه بذكر الله، وهذا الذكر هو من جنود الأنوار التي تسلك به سبيل الورود على الله، فـ (النور جند القلب، كما أن الظلمة جند النفس، فإذا أراد الله أن ينصر عبده: أمده بجنود الأنوار، وقطع عنه مدد الظلم والأغيار)، فيعرضك الله لجند تحكم مجامعك وتأخذ بيدك في هجرتك إليه: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً

---

[٥٣]قال في الفتح الرباني: (**هذا الأمر منزل من السماء إلى أرض القلوب فتهتز وتنبت من كل خير**)/٢٧٥.

فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام: ١٢٢).

• متى ترد الواردات؟

إن الوارد عطاء رباني خارج عن العادة، لا يشرق في قلبك إلا بعد صفاء سريرتك من باطن الآثام وتعلقها بحب الواحد المنان وتعظيمه، ومتى وردت على ربك الكريم بورد الاستقامة بفعل الطاعات وتجنب المحرمات، فاستدامة ذكر الله: إستعد قلبك لورودها، فـ(ورود الأمداد بحسب الاستعداد، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار)[٥٤]، فاجتهد في تخلية القلب من تأثير ما سوى الله ليكرمك الله بلطفه، و(فرغ قلبك من الأغيار: يملأه بالمعارف والأسرار)، فإن القلب إن حشي بالأهواء لم يبق فيه متسع لنفاذ النور، وهل ينفع الأعمى الضياء؟: (فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج: ٤٦)، وهذه الأنوار نافذة على ملكوت الغيب، تغلق دون قلبك إن غشيته ظلمات الشهوات، و(ربما وردت عليك الأنوار، فوجدت قلبك محشواً بصور الآثار: فارتحلت من حيث نزلت)، فالنور كاشف للحق، وبصيرة قلبك إن تفتحت لدخوله ستذوق هذا الحق، وإنما يعمي غشاء الشهوات قلبك فيدبر عن بركات هذا النور، فـ(النور له الكشف، والبصيرة لها الحكم، والقلب له الإقبال والإدبار)، فهناك (أنوار أذن لها في الوصول، وأنوار أذن لها في الدخول)، فحتى لو وصل إليك بعض شعاعها، تراها تحجب عنك بعد إشراق إن لم يدم

---

[٥٤] قال في الفتح الرباني: (**طهر قلبك مما سواه؛ فإنك ترى به ما سواه**)/١٣٨.

استعدادك لها، فهي خرق لعادات الكون كله وسننه التي عرفها الناس، لن تنالها إبتداءاً إن رغبت فيها إلا بعد مجاهدة ما تعودت من أهوائك، و(كيف تخترق لك العوائد، وأنت لم تخرق من نفسك العوائد؟)[55]، وربك كريم، يربيك بقدره، وسينيلك نصيبك منها متى أقبلت عليه بهجرتك، مخلصاً لعبوديتك، فـ(لا تستبطئ منه النوال، ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال)[56]، واعلم أنه ليس الأهم على طريق التقرب إلى الله قطع ما بين دارك والبيت الحرام من المسافات، وإنما المهم خرق ما يحول دون وصول النور إلى قلبك من غواشي الشهوات والأهواء ومذموم الطباع التي تحجبك عن الله، ودونها واردات إلهية تنتظرك، وتنتظر التفاتة منك لتتعرض لنفحاتها ولتنقلك من أثقالك النفسية إلى أشواقك العلوية، فاجتهد لتدعو: (اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً، واجعل في سمعي نوراً وفي بصري نوراً، واجعل من خلفي نوراً ومن أمامي نوراً، واجعل من فوقي نوراً ومن تحتي نوراً، اللهم أعطني نوراً).

---

[55] قال في الفتح الرباني: (**إذا خَرَقْتَ العادة: خُرِقَت لك العادة**)/١٩٦، و(**من خَدَمَ خُدِم**)/٩١.

[56] قال في الفتح الرباني: (**إذا علم صدق إرادتك له أرادك**)/١٥٣، و(**هو يعطي من لا يخدمه فكيف لا يعطي من يخدمه؟**)/٣٠٦، فـ(**غيروا له من نفوسكم ما يكره حتى يؤتيكم ما تحبون**)/١٥٠.

• لماذا ترد الواردات؟

تحيط الواردات بك في كل ما حولك من إشارات الكون المنظور، ويحتويها نوراً خالصا بين يديك القرآن المسطور، وإنما هي غفلتك البليدة التي تحجب قلبك عنها، فإن أراد ربك لك صحوة القلب جعل وارداً منها يخترق حجب هذه الغفلة، ويبصرك ويوقظك من عمى بصيرتك، ويذكرك هويتك، وليستيقن قلبك وليطمئن وليثابر في هجرته للورود على الله، فربك (إنما أورد عليك الوارد، لتكون به عليه وارداً)، وليهون عليك بما يفتحه عليك منها: ما تكابده لتتحرر من مألوف عاداتك وإفنائك العمر لتحصيل ما سواه وعبوديتك لما خلق، فهو إنما (أورد عليك الوارد، ليستعملك من يد الأغيار، ويحررك من رق الآثار)، ولتخرج من ضيق سجن عالم الملك الذي أنت فيه الآن، إلى سعة عالم الملكوت والغيب الذي منه جئت، وإليه مآلك، ولتشهد معه قدرة المسَبِّب وليس مجرد أعراض الأسباب، والمكوِّن لا المكوَّنات، فهو قد (أورد عليك الوارد، ليخرجك من سجن وجودك: إلى فضاء شهودك)، وهو اصطفاء خاص من ربك إن وهبك إياه: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) (القصص: ٦٨)، قريب مناله ما دمت قد أحسنت وعجلت في هجرتك إليه ليرضى، فهو قد (علم أن العباد يتشوفون إلى ظهور سر العناية، فقال: (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) (البقرة: ١٠٥)، وعلم أنه لو خلاهم وذلك: لتركوا العمل؛ اعتماداً على الأزل، فقال: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف: ٥٦)).

واعلم أن طعم الدنيا كلها سيتغير عندك متى ذاق قلبك جلال الكرم الإلهي الخاص، حتى لا يبقى لشئ سوى ثمراته قدر، لأن (الوارد يأتي من حضرة قهار؛ لأجل ذلك: لايصادمه شيء إلا دمغه: (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) (الأنبياء: ١٨))، فهو وارد مَلَكِيّ، متى دخل القلب استصغرت معه كل عادات العبيد وهمومهم وأهوائهم، فـ(متى وردت الواردات الإلهية عليك: هدمت العوائد عليك: (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا) (النمل: ٣٤))، ولذلك يجعله محدوداً بحدود استعدادك، فيطلعك على قدر ويحجب عنك أقداراً مهما كان تشوفك إليها، فـ(ربما أطلعت على غيب ملكوته، وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد)، لأن (من اطلع على أسرار العباد، ولم يتخلق بالرحمة الإلهية، كان اطلاعه فتنة عليه، وسبباً لجر الوبال إليه): (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) (الكهف: ٦٧)، فيعطيك ويمنعك كما يشاء، حتى (ربما وردت الظلم عليك؛ ليعرفك قدر ما من به عليك)، لأن (من لم يعرف قدر النعم بوجدانها: عرفها بوجود فقدانها)، كما واحذر من اختلاطها بغيرها، فكل وارد لا يثمر ذلاً وحباً لربك فماهو بوارد، فـ(لا تزكين وارداً لا تعلم ثمرته، فليس المراد من السحابة الإمطار، وإنما المراد منها: وجود الإثمار).

- **علامة أهلها:**

ما امتلأ قلب عبد -من قبل ومن بعد- بالنور؛ مثلما امتلأ قلب محمد صلى الله عليه وسلم، ومبلغ العلم به أنه بشر، ولكن ربه قد ستر سر خصوصيته ببشريته حتى عميت عنها أبصار من صرف الله أبصارهم عن النور: (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ) (الفرقان: ٧)، وهكذا سنة الله مع من اجتباه بما حباه من معارف ورحمات، يسترها بظاهر بشريتهم، و(كم من أشعث أغبر ذي طمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرّه)[٥٧]، ف(سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية)، لأن النور وارد من الله، وهو كنور الشمس يضيء المكان وليس من جنس المكان، وإنما أنت بشر محدود القدر والقدرات، مهما اختصك بما يشاء، ف(لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية، إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت في الأفق وليست منه، تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك، وتارة يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك، فالنهار ليس منك وإليك، ولكنه وارد عليك).

إن أولياء الله أخفياء عن الناس بمظاهر الإنسانية العادية، ولم يجعل لهم القرآن سمة سوى سمات قلبية باطنة؛ إيماناً وتقوى: (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا

[٥٧] حديث صحيح الاسناد، رواه الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم.

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ **آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**) (يونس: ٦٣)[٥٨]، فهم وأنوارهم مستورون بظاهر بشري عادي، لأن ربهم قد (ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر، إجلالاً لها أن تبتذل بوجود الإظهار، وأن ينادى عليها بلسان الإشتهار)[٥٩]، بل إن ظاهر ما يخرق من العادات لدى البعض لا يكون بالضرورة دليلا على ولايته، إذ (ليس كل من ثبت تخصيصه؛ كمل تخليصه)، وإنما السبيل إلى معرفتهم هو سلوك طريق الوصول إلى الله، فاذا عزمت على الهجرة؛ أوصلك الله إلى أوليائه وعرفك عليهم وحببك إليهم وحببهم إليك، وجعلهم دليلك على طريق السلوك إليه[٦٠]، ف(سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصلهم إليه).

---

[٥٨]قال في الفتح الرباني: (**علامة الولي: أن يكون موافقاً لربه في جميع أحواله**)/٢٩٤، مع (**الاستغناء بالله عن كل شيء، والقناعة بالله عن كل شيء، والرجوع إليه في كل شيء**)/٣٥٧.

[٥٩]وهم يستحيون من ظهور ما خصهم به ربهم، قال في الفتح الرباني: (**من كنوز البر كتمان السر**)/٢٤.

[٦٠]قال في الفتح الرباني: (**من رأى محباً لله عز وجل فقد رأى من رأى الله بقلبه**)/١٤٣، و(**من لا يرى المُفلِحَ لا يُفلحُ**)/٢٧٢.

• ماهو قدرها؟

إعلم أن الوارد ليس غاية بذاته، وإنما هو وسيلة للثبات على سلوك طريق الهجرة والارتقاء فيها، وأن الكرامة: هي الاستقامة بلزوم طاعة الله، واستثمار النور لتعبيد النفس لربها، بإصلاح الأرض وإقامة العدل، وان الصالحين من عباد الله يستخفون من كراماتهم كما تستخفي المرأة من حيضتها، إذ ربما تصبح حال العبد مع الأنوار غاية بذاتها فتتحول إلى حجاب يحجب صاحبها عن الله لشدة اهتمامه وفرحه بها، فتصير كغيرها من الأهواء والرغبات التي تشكل حجاباً، فـ(ربما وقفت القلوب مع الأنوار؛ كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار)، وإن انقشاع بعض الحجب والأسرار بخوارق تبدو للسالك من حين لآخر قد تكون له (فتنة)! إن ساقته إلى العجب بنفسه، وقد تكون استدراجاً لكل من يسخر دينه لأهوائه ودنياه، أو إن صدته عن الارتقاء بعد سلوك الطريق، وأين نحن من الوصول إلى سدة القرب ودرجاته التي لا تنتهي؟، فـ(ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها؛ إلا ونادته هواتف الحقيقة: الذي تطلب أمامك، ولاتبرجت له ظواهر المكوَّنات؛ إلا ونادته حقائقها: (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ) (البقرة: ١٠٢))، فـ(لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك، فإن ذلك مما يحط من وجود قدرك)[٦١]، و(لا تطلبن بقاء الواردات

[٦١] قال في الفتح الرباني: (**إياك والعجب بالأحوال والأعمال فإنه مُطغٍ مسخط لصاحبه من عين الحق عز وجل**)/٢١٦.

بعد أن بسطت أنوارها، وأودعت أسرارها، فلك في الله غنى عن كل شيء، وليس يغنيك عنه شيء)، واعلم أن (تطلعك إلى بقاء غيره: دليل على عدم وجدانك له، واستيحاشك لفقدان سواه: دليل على عدم وصلتك به)، عدا أن الخارقة مجرد خروج عن السنن الثابتة، **وإن العاقل يرى في حقيقة ثبوت السنن أعظم خارقة ووارد من نور يدلنا على الله، تحجبنا عنه بلادة الألفة وجمود الغفلة، وإلا: فأي معجزة أعظم من شروق شمس كل يوم أو من ولادة طفل؟، تدلك على الله، حتى تثبت وتطمئن، وتكمل هجرتك!**

• النور الأعظم:

ما من نور كنور الوحي الذي أنزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، فالنور الأعظم: نور القرآن: (**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ** وَكِتَابٌ مُبِينٌ) (المائدة: ١٥)، يختار ربك من يهديه إليه: (وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً **نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ**) (الشورى: ٥٢)، وقد أمرك بالتصديق به باطمئنان: (**فَآمِنُوا** بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (التغابن: ٨)، فمن شرح الله صدره للاسلام فهو مستعلٍ بهذا النور: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ **عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ**) (الزمر: ٢٢) ، ومن اتبعه أفلح[٦٢]: (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ **وَاتَّبَعُوا النُّورَ** الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ **الْمُفْلِحُونَ**) (الأعراف: ١٥٧)، فنوره الميزان لكل وارد: (وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ **الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ** لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد: ٢٥)، وفيه تفصيل كل شئ: (مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ **وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ**) (يوسف: ١١١)، فاحذر أن تقدم على نوره شيئاً، وزِنْ به كل وارد[٦٣]، لأنه الحق: (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) (الإسراء: ١٠٥)، وبنوره يوزن كل نور، فـ(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق: ١)، فهذا القرآن: (لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً

---

[٦٢] قال في الفتح الرباني: (**عليك بهذا السواد على البياض –يقصد القرآن المكتوب في الصحف– إخدمه يخدمك: يأخذ بيد قلبك ويوقفه بين يدي ربه عز وجل**)/١١١.

[٦٣] قال في الفتح الرباني: (**كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة**)/١٨٢.

لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) (البقرة: ٣)، وآياته هي النور الاعظم لأولياء الله: (الَّذِينَ **آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)** (يونس: ٦٣)، وليثبت به قلبك، وليطمئن به وهو يتلوه، حتى تشرق به بصيرة القلب وهو يهاجر إلى ربه، ويعجل إليه ليرضى.

الباب الثالث

الله

الباب الثالث

الله

(قُلِ اللَّهُ! ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) (الأنعام:٩١)

ليس من نعيم كنعيم الوصول إلى (الله)!، ولعلك قد سلكت طريق الهجرة، وبادرت بالتوبة، واستعنت بالصبر، وأقمت على الذكر، ووردتك الأنوار في طريق هجرتك لتثبت ولتطمئن، أو شهدت بعضاً من معالم الغيب الذي منه جئت وإليه تعود، وذقت بعض النعيم، ولكن: ليس من نعيم كنعيم شهود الله، فـ(النعيم: –وإن تنوعت مظاهره– إنما هو لشهوده وإقترابه، والعذاب: –وإن تنوعت مظاهره– إنما هو لوجود حجابه، **فسبب العذاب: وجود الحجاب، وإتمام النعيم: بالنظر إلى وجهه الكريم)**[٦٤]، (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) (الحج: ٦).

---

[٦٤] قال الامام الغزالي: (وأشدها –أنواع العذاب– ألماً ألم الحجاب والإبعاد، –أعاذنا الله منه–، ولذلك قدمه في قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (المطففين: ١٥))، جواهر القرآن ودرره/ ص١٤.

• الحجاب

إعلم يا من ذقت نعيم الأنوار أن (الحق ليس بمحجوب، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه، إذ لو حجبه شيء: لستره ما حجبه، ولو كان له ساتر: لكان لوجوده حاصر، وكل حاصر لشيء: فهو له قاهر، كيف**!** (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) (الأنعام: ١٨))، فلا يحجبه شئ، وإنما هو لكل ما سواه قاهر، وإن (مما يدلك على وجود قهره -سبحانه- أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه)، فهو يحجب من يشاء بقهره -دونما حجاب- عن شهود ذاته العلية!، وهذا من قهره سبحانه لمن عصاه وغفل عنه وعن آياته استكباراً: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) (الأعراف: ١٤٦)، فهو حجاب بقهر الله، وإلا فليس في الكون ما يحجب عن شهود الله، وكل ما فيه ومن فيه ناطق بهذا الشهود، لأن كل موجود إنما وجد (بالله)، وليس (معه)، فالله قيوم السماوات والأرض، **ولو انقطع إمداد الله عن موجود لتهاوى وجوده وانقطع في ظلمات العدم**، ومن الغباء أن تجعل الدليل على الله حجاباً يعميك عن اليقين به، ف(ما حجبك عن الله وجود موجود معه، ولكن حجبك عنه توهم موجود معه)، و(كيف يحتجب الحق بشيء، والذي يحتجب به؛ هو فيه ظاهر وموجود حاضر**!؟**).

فوا عجباً لغفلة القلب المريض، كيف يجعل الأثر المخلوق حجاباً دون شهود الخالق المؤثر؟، والله هو الذي أظهر الأثر ليكون لك دليلاً عليه،

فـ(كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي أظهر كل شيء؟)، وعجباً لمن يغفل عن ظهور تدبير الله في حكمة تقدير وجود كل شئ وغايته ووظيفته، وهو تدبير ظاهر بكل شئ، فـ(كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي ظهر بكل شيء؟)، فليس في الكون ما يقطعك عن الله، وظاهر الكون كله يحكي عن صفات من خَلَقَه، و(كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي ظهر في كل شيء؟):

(ألاحظه في كل شيء رأيته   وأدعوه سرا باطنا فيجيب

ملأت به قلبي وسمعي وناظري   وكلي وأجزائي، فأين يغيب؟)[٦٥]

إن نور الله ظاهر لكل شيء، (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) (الإسراء: ٤٤)، فما من مخلوق إلا ويعرف ربه بطريقته، فيسلم له: (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (عمران: ٨٣)، ويسجد له: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) (الحج: ١٨)، فواعجباً (كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهوالذي ظهر لكل شيء؟)، وهل يحجب شيء رباً هو الأول فلا شئ قبله؟، فـ(كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء؟)، وما من شيء إلا وهو بالله ظاهر، وبالله ندركه، فـ(كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو أظهر من

---

[٦٥] هذا البيت ذكره ابن عطاء الله السكندري في كتاب (القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد)/١٤.

كل شيء؟)، فهل من ظهور أشد من ظهور الله؟، و(إنما احتجب لشدة ظهوره، وخفي عن الأبصار لعظم نوره)[٦٦]، وإن كل ما سوى الله يفتقر إلى نور الله إيجاداً وإمداداً، وهو وحده الصمد الذي لم يلد ولم يولد، فـ(كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الواحد الذي ليس معه شيء؟).

إن ربك معك حيثما كنت، (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد: ٤)، ويعلم ما في نفسك وهو أقرب اليك من نفسك: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (ق: ١٦)، فـ(كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو أقرب إليك من كل شيء؟)، ولعله (إنما حجب الحق عنك: شدة قربه منك)، لأنه حتى طاقة عقلك الذي تفكر به الآن إنما هي من نور يقذفه الله في كيانك، و الكون كله أثر لخلقه، فـ(كيف يتصور أن يحجبه شيء، ولولاه ما كان وجود كل شيء؟)، وإنما كان الكون كله بكلماته: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (النحل: ٤٠)، فكيف تصف نفسك وغيرك بالوجود؛ وتتيه عن

---

[٦٦] قال الامام الغزالي: (إن الله تعالى بذاته لايختفي إذ يستحيل اختفاء النور، وبالنور يظهر كل خفاء، والله نور السموات والأرض، وإنما خفاء النور عن الحدقة لأحد أمرين إما لكدورة في الحدقة وإما لضعف فيها إذ لا تطيق احتمال النور العظيم الباهر كما لا يطيق نور الشمس أبصار الخفافيش)، جواهر القرآن ودرره/١٣.

حق أحق موجود بهذا الوصف؟، و(يا عجباً! كيف يظهر الوجود في العدم!؟، أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم!؟).

• الوصول

إن كل موجود سوى الله أصله عدم، والله أوجده (ليكون) أولاً، وأمده (ليبقى) ثانياً، ولو انقطع عنه نور الإمداد لحظة لفني في ظلمات العدم، **فنور الله هو سر الكون، وبه انفلق من ظلام اللاشئ كل موجود: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (النور: ٣٥)**[٦٧]، فمن لم يشهد تأثير الله في الكون، أو يشهد صفات الله عند النظر في الكون، أو يشهده قبل النظر بمقاييس العقل الصريح، أو يشهده بعد انحسار تأثير شهواته وغرائزه، فهو ممن سلب الله عنه نور الهداية، لأن (الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه، أو عنده، أو قبله، أو بعده: فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار)[٦٨]، (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) (النور: ٤٠)،

---

[٦٧] وانظر الحكم العطائية- شرح وتحليل ١/ ٢٠٠ وما بعدها.

[٦٨] قال ابن عطاء رحمه الله في (القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد): (من نظر إلى وجود الحق بعين القدم ونظر إلى ماسواه بعين الحدوث والعدم فقد شاهد أزليته، وقال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله **قبله**، ومن نظر إليه بعين البقاء ولخلقه بعين الفناء فقد شاهد سر أزليته، وقال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله **بعده**، ومن نظر إليه بعين

إذ يغيب الوجود إن غاب مدد ربه عنه، فـ(الأكوان ثابتة بإثباته، وممحوة بأحدية ذاته)، والمخلوقات ظاهرة لأنه الباطن بمدده لها، وهي باطنة لأنه الظاهر وحده بنوره الحق دون كل موجود، فقد (أظهر كل شيء لأنه الباطن، وطوى وجود كل شيء لأنه الظاهر) [٦٩]، وإنما وصف ربنا ظاهر لحواسنا في كل شيء ظهوراً يدل على قدرته وعلمه، وهو الباطن لعقولنا لأن ذواتنا لا تتسع لظهور ذاته في هذه الدنيا: (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً) (الأعراف: ١٤٣)، إذ إنك إن رأيته فلن تراه إلا به!، وإن استقللت عنه لتراه تهاوى وجودك، لانقطاع مدده باستقلالك، فـ(لولا ظهوره في المكوَّنات: ما وقع عليها وجود إبصار، ولو ظهرت صفاته: اضمحلت مكوَّناته)، ولذلك فاعلم أن (**وصولك إلى الله: وصولك إلى العلم به، وإلا فجل ربنا أن يتصل به شيء، أو يتصل هو بشيء**)، وأن (قربك منه: أن تكون مشاهداً لقربه، وإلا فمن أين أنت ووجود قربه؟!).

العلم والقدرة وللخلق بعين الجهل والعجز وقصور المنة فقد شاهد فعله وإحاطته، وقال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله **معه**)/١٣.

[٦٩] قال ابن عطاء: (الحق سبحانه إذا تكلم أظهر، وإذا شاء قدر، ومتى أحب ظهر، وبأي قدرة شاء استقر، هو عزيز في قربه، وقريب بعلوه، حجب الذات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال)، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد/٤٦.

• الشهود

قد علمت أن الله ليس بمحجوب، وأنه قريب: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) (البقرة: ١٨٦)، وإنما حجابك: عدم روح الاخلاص في عملك، و(من وقف بهمته على شئ دون الحق: فاته الحق، لأنه أعز من أن يرضى بشريك)، وإنه ليس بين العبد وبين ربه (فواصل من المسافات) ليجتازها، ولا (حواجز من الحجب) لاختراقها للمثول بين يديه، وإنما أنت محجوب عنه بحواجز كثيفة من عوائقك وشهواتك تغشي قلبك فتعميه عن إدراك النور[٧٠]، وعلى قدر كثافتها يزيد بعدك عنه، فـ(لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين، إذ لامسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك، ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك)، وإن

---

[٧٠] قال في الفتح الرباني: (**طريق الحق ليس فيها خلق**)/٢٧٢، و(**ما دمت مع الخلق لا ترى الحق**)/٢٧٦، لأن (**نفسك حجابك عن معرفة الخلق، والخلق حجابك عن معرفة الخالق عز وجل**)/١٧٦، فهما (**خطوتان وقد وصلت؛ خطوة عن الدنيا وخطوة عن الأخرى، خطوة عن نفسك وخطوة عن الخلق**)/٢٣١، فـ(**وحد الحق عز وجل حتى لا يبقى في قلبك من جميع الخلق ذرة**)/٢٨٢، و(**مت عن غيره ثم إحي به وله**)/٢١٤، فإن (**الاعراض عن الخلق حق، والاشتغال بخالقهم أحق**)/٢٩٢، و(**طريق الحق عز وجل ليس فيها أنا ولي ومعي**)/٣٠٦، وإن (**إيمان الخواص يزيد بسكونهم إلى الحق عز وجل وينقص بسكونهم إلى غيره**)/١٣٩.

المسافة إليه تقطعها بأدق من لمح البصر دعوة صالحة: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر: ٦٠).

فماذا تنتظر لتشهد أنه الحق ولتكون له عبداً مثلما يريد وحيث يريد؟، وقد أشهدك على نفسه قبل أن تُودَع روحك في هذا الجسد، وقبل ان يأمرك أن تشهد بأن (لا إله إلا الله)، وهي شهادة باطنة في أعماق كيانك: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا **بَلَى شَهِدْنَا**) (الأعراف: ١٧٢)، وظاهر كل ما حولك ينطق بهذه الألوهية: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ) (الذاريات: ٢٠)، وقلبك الحي يعرفها على قدر معرفته بنفسه، فالله قد (أشهدك من قبل أن يستشهدك، فنطقت بإلهيته الظواهر، وتحققت بأحديته القلوب والسرائر)، وإن الأصل أن تستدل بالله الحق على أن الاشياء التي حولك حق، لأنه من دون معرفة الله يغدو الكون كله باطلاً لا معنى له، ومع ذلك، فمن تيسيره سبحانه أن أباح لك النظر إلى ما حولك من الكائنات لتقرأها رسائل ناطقة بأوصاف الله، وليكون النظر (فيها) دليلك إليه، وأما الوقوف (معها) دون قراءة ما تنطق به فهو غفلة عن أصل وجودها، وانشغال بالمخلوق عن الخالق، يقودك إلى توهم وجودها بذاتها، فتنسى أصل وجودك ووجودها معاً، فهو قد (أباح لك أن تنظر ما في المكوَّنات، وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكوَّنات: (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (يونس: ١٠١)،

فتح لك باب الافهام، ولم يقل: انظروا السماوات، لئلا يدلك على وجود الأجرام)، والقلب المشتاق المتلهف لأنوار الله يُصَبِّرُ نفسه بما يظهر من صفات الله، في ما أبرزه الله من ظاهر الكائنات إليه، رحمة وحكمة وعدلاً، وهذا من لطفه بك، فهو قد (علم منك أنك لا تصبر عنه: فأشهدك ما برز منه إليك)، وبهذه الشهادة تتحقق القلوب بأحديته، وتذوق من جلال وصف الله: (أنوار من نوره)، لا تأفل كما تأفل أنوار المخلوقات، فالله قد (أنار الظواهر بأنوار آثاره، وأنار السرائر بأنوار أوصافه؛ لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر، ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر؛ ولذلك قيل: إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب).

إن **شعاع** النور الذي يرد **بصيرة** القلب من شهود آثار صفات الله في خلق الكائنات يشهدك **قرب** الله منك، ويورث المراقبة لله، ويعين القلب على توبته، وشهود فقره، ثم الصبر على مراد ربه، والتزام ذكره وورده، حتى يدرك شهوداً عملياً هو أعلى من اليقين العلمي، يصير به الكون مرآة لصفات الله، يرى به القلب **بعين بصيرته** المدلول: (الله)، دون الدليل: (ما سواه)، حتى يشهد حقاً أن: (لا حول ولا قوة الا بالله)، فتغيب الفاعلية الوهمية للأشياء عن بصيرته، ويشهد عدم الفاعلية الحقيقية لذاته، وهي شهادة **حق البصيرة**، وبها يعود من الفناء إلى البقاء، أي إلى واقع أن الله

بيده الخلق والامر، وأن المخلوق مغيّب في حكم الآمر وتدبيره[٧١]، ف(شعاع البصيرة: يُشهدك قربه منك، وعين البصيرة: تشهدك عدمك لوجوده، وحق البصيرة: يشهدك وجوده، لا عدمك ولا وجودك)، وهي غاية التوجه إليه ب(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: ٥)، متحققا بعبودية تامة، تشهد له فيها **أنه حتى عبوديتك له لا تكون إلا إن عبَّدك هو له).**

والعارف بالله هو من بلغت عبوديته لربه حد فناء إرادته فيما يريد الله، ومشهوده في جلال شهود الله، فهو فانٍ عن نفسه والخلق، ومنشغل بوجود الله، وانطوى شعوره بذاته في شهوده لله، ف(ما العارف من إذا أشار؛ وجد الحق أقرب إليه من إشارته، بل العارف من لا إشارة له؛ لفنائه في وجوده، وانطوائه في شهوده)، حتى يغدو (ظاهراً مع الخلق باطناً مع الحق)، يقرأ إشارات الكائنات فيراها جميعاً شاهدة على لطف ربه وحكمته، حافلة بأسرار التوحيد، حتى يذهل عن حظ نفسه بالفرح بمنح ذي الجمال، أو بالحزن على محن ذي الجلال: (لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) (الحديد: ٢٣)، ويكون الرضا بالله محور سلوكه وغاية غاياته، لأن (من عرف الحق: شهده في كل شيء، ومن فني به: غاب عن كل شيء،

[٧١] وانظر الحكم العطائية- شرح وتحليل ١/٤٥١.

ومن أحبه: لم يؤثر عليه شيئاً)[٧٢]، وبهذا الحب لا يرى في المكوَّنات الا أوصاف الله، إن استوقفته منها مشاهد الجمال والعظمة والرحمة والعدل، **ومن ثمرات هذا الحب ألا يؤثر المحب على مرضاة محبوبه شيئاً، فيستفزه الظلم والفساد، ويطمئن للعدل والإصلاح،** فالمعرفة تقوده إلى الفناء فيما يريد الله عن ما يريده سواه، والغنى بالله عمن سواه، وهذا يوصله إلى كمال الحب، الذي يسلمه إلى محراب العبودية الضارعة له عز وجل، فيطوي دعاويه كلها، ويتبرأ من أوهام حوله وقوته، ولا يريد إلا ما يريد الله، ويرقى قلبه مدارج هذا الحب وهو يدعو ربه: (اللهم أحي قلبي بحبك، واجعلني لك كما تحب)، حتى يعمر بصيرة قلبه (نُورٌ عَلَى نُورٍ) (النور: ٣٥)، من (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (النور: ٣٥).

---

[٧٢] قال في الفتح الرباني: **(من عرف ربه عز وجل عرف الأشياء كلها به)**/١٦٤، و**(الغني من ظفر قلبه بقرب ربه عز وجل)**/١٧٥.

• خاتمة: بين السائر والواصل

إعلم أيها المهاجر إلى الله أن: (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (الشورى: ١٣)، فالوارثون للنور ليسوا سواءاً في عزم هجرتهم واستعدادهم، (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (فاطر: ٣٢)، وهو اجتباء ربك لمن يشاء مثلما يخلق ما يشاء: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) (القصص: ٦٨)، والحال منك التوكل عليه واستجماع العزم على السير متى شرعت بالهجرة: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ١٥٩)، والناس فيها مقامات: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) (الصافات: ١٦٤)، وهي همم يعلو بعضها على بعض: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين: ٢٦).

وبين هذه المقامات يتدرج الناس بين (قوم تسبق أنوارهم أذكارهم، وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم، وقوم تتساوى أذكارهم وأنوارهم ، وقوم لا أذكار ولا أنوار -نعوذ بالله من ذلك-)، فمن الناس من غاب عنهم النور فما شهدوه وما عرفوا أنفسهم وكان الكون سجناً لهم عن المكوِّن، وفوق هؤلاء السائرون إلى الله والواصلون إليه، بأنوار ذكرهم لربهم، التي تعرفت عليها في هجرتك، بين (ذاكر ذكر ليستنير قلبه، وذاكر استنار قلبه فكان ذاكراً، والذي استوت أذكاره وأنواره فبذكره يهتدي وبنوره يقتدي)، فهم بين

(قوم أقامهم الحق لخدمته، وقوم اختصهم بمحبته: (كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً) (الإسراء: ٢٠))، فمنهم ذوو (السعة) في رزقهم من النور وهم الواصلون، ومنهم من قدر عليه رزقه من ذلك النور، ولعله يرقى ما دام سائراً مهاجراً، ف((لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) (الطلاق: ٧): الواصلون إليه، (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) (الطلاق: ٧): السائرون إليه).

فالواصلون كفاهم التفكر والنظر إلى أنفسهم ليعرفوا ربهم: (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ) (الذاريات: ٢١)، فرقوا إلى شهود الله قبل النظر في المكوَّنات، لوعيهم أنهم لم يكونوا شيئاً قبل الله الحي: (أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً) (مريم: ٦٧)، ولن يكونوا شيئاً من دون مدد الله القيوم: (قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ) (الأنبياء: ٤٢)، وأما السائرون فعرفوه بالتفكر والنظر في خلقه: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) (فصلت: ٥٣)، فكلما نظروا إلى الأكوان تذكروا المكوِّن، ف(الفكرة فكرتان: فكرة تصديق وإيمان، وفكرة شهود وعيان، فالأولى: لأرباب الاعتبار، والثانية: لأرباب الشهود والاستبصار: (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (الشورى: ١٣))، و(شتان بين من يَستدِل به، أو يَستدِل عليه: المستدِل به: عرف الحق لأهله؛ فأثبت الأمر من وجود أصله، والاستدلال عليه: من عدم الوصول إليه، وإلا فمتى غاب

حتى يُستدل عليه؟، ومتى بَعُد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه؟)، والله قد (دل بوجود آثاره على وجود أسمائه، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه، وبثبوت أوصافه على وجود ذاته؛ إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه؛ ف(أرباب الجذب): يكشف لهم عن كمال ذاته، ثم يردهم إلى شهود صفاته، ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه، ثم يردهم إلى شهود آثاره، و(السالكون) على عكس هذا، فنهاية السالكين: بداية المجذوبين، وبداية السالكين: نهاية المجذوبين، لكن لا بمعنى واحد؛ فربما التقيا في الطريق: هذا في ترقيه، وهذا في تدليه)[٧٣]، فالراحل يرقى كلما لاح له النور من قراءته للآيات في الآفاق

[٧٣] قال الإمام أبو حامد الغزالي في (جواهر القرآن ودرره): (والعلم الأشرف الأعلى: علم معرفة الله تعالى، فإن سائر العلوم تراد له ومن أجله، وهو لا يراد لغيره، وطريق التدريج فيه الترقي من الأفعال إلى الصفات، ثم من الصفات إلى الذات، فهي ثلاث طبقات): ص٢٤، (ومعرفة الذات أضيقها مجالاً وأعسرها منالاً وأعصاها على الفكر، وأبعدها عن قبول الذكر؛ ولذلك لايشتمل القرآن منها إلا على تلويحات وإشارات، ويرجع ذكرها إلى ذكر التقديس المطلق كقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى: ١١)، وسورة الاخلاص، وإلى التعظيم المطلق كقوله: (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنعام: ١٠٠)، وأما الصفات، فالمجال فيها أفسح؛ ونطاق النطق فيها أوسع، ولذلك كثرت الآيات المشتملة على ذكر العلم والقدرة والحياة والكلام والحكمة والسمع والبصر وغيرها، وأما الأفعال، فبحر متسع أكنافه، ولاتنال بالاستقصاء أطرافه، **بل ليس في الوجود إلا الله وأفعاله**، وكل ماسواه فعله، لكن القرآن يشتمل على الجلي منها الواقع في عالم الشهادة: كذكر السموات والكواكب والأرض والجبال

وفي نفسه، فيهتدي لنور الله بأنوار التوجه هذه، والواصل عرف نفسه فعرف ربه وأنه النور الحق، ومن ذلك النور يتدلى لشهود أنوار الصفات فالتعلق بأسمائه، ثم شهود آثاره في خلقه، فـ(اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة، فالأولون للأنوار، وهؤلاء الأنوار لهم، لأنهم لله؛ لا لشيء دونه: (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) (الأنعام:٩١)).

إن العارف بالله هو من فنيت إرادته فيما يريده الله، وغابت عنه في توكله الأسباب تحت سلطان الله، وذابت لديه المشهودات في جلال شهود الله، وأما الزاهد فهو: من ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة، لأنه يراه فتنة، ولذلك فـ(إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء: لغيبتهم عن الله في كل شيء، فلو شهدوه في كل شيء: لم يستوحشوا من شيء)، بل حتى في فتنة السمعة ومديح الخلق، فإن (الزهاد إذا مدحوا: انقبضوا، لشهودهم الثناء من

والشجر والحيوان والبحار والنبات وإنزال الماء الفرات وسائر أسباب النبات والحياة وهي التي ظهرت للحس، وأشرف أفعاله وأعجبها وأدلها على جلالة صانعها مالم يظهر للحس، بل هو من عالم الملكوت، وهي الملائكة والروحانيات والروح)، ولذلك فاعلم: (أن أكثر أفعال الله وأشرفها لايعرفها أكثر الخلق بل إداركهم مقصور على عالم الحس والتخييل، وأنهما النتيجة الاخيرة من نتائج عالم الملكوت، وهو القشر الأقصى عن اللب الأصفى، ومن لم يجاوز هذه الدرجة فكأنه لم يشاهد من الرمان إلا قشرته، ومن عجائب الإنسان إلا بشرته): ص١٠-١١.

الخلق، والعارفون إذا مدحوا: انبسطوا، لشهودهم ذلك من الملك الحق)، فالعارف يشهده من ربه: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات: ٩٦)، فيسر لما دل عن رضا الله عنه، ويستحيي لما يعلم من تقصيره بحقوق ربه، فالله قد (قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم، أما السائرون: فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها، وأما الواصلون: فلأنه غيبهم بشهوده عنها)، ذلك أن العبودية: حال تنبثق من القلب ويلتبس بها الكيان كله، وهي ليست مجرد شعائر العبادات، ولا يذوقها من لم يتلبس كيانه ذل الافتقار وتحقق الصدق في إرادة المعبود، والصدق (سيف الله في الارض، ما وضع على شيء إلا قطعه)، وهو عهدك في هذه اللحظة، وقد بلغتك هذه الكلمات، أن تصدق مع ربك في هجرتك، واعلم أنه (ما صدق اللهَ عبدٌ إلا صنع له)، وليكن هذا العهد خطوتك الأولى لتكون من الذين (**صَدَقُوا** وَأُولَئِكَ هُمُ **الْمُتَّقُونَ**) (البقرة: ١٧٧)، ثم ليكون هذا بابك للتنعم بالنور الأعظم الذي أنزله الله: (لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً **لِلْمُتَّقِينَ**) (البقرة: ٢).

الملاحق

الملحق الأول:

(من هو الله؟)

أولاً: في التعريف باسم (الله)

ثانياً: من نور الكتاب: وصف (الله) في أعظم آية في القرآن

الملحق الثاني:

(الحكم العطائية)

لأحمد ابن عطاء الله السكندري

وفق تسلسل ورودها في مصادرها، مع بيان مواضع ورودها في الكتاب

(الملحق الأول)

مَن هو الله؟

أولاً: في التعريف باسم (الله)[٧٤]:

(هو اسم تفرد به الله سبحانه وتعالى واختصه لنفسه) (ومنع الغير أن يتسمى به) (فهو خاص لا يشاركه فيه أحد غيره)، وهو أعرف المعارف، (وصف به ذاته وقدمه على جميع أسمائه، وأضاف أسماءه كلها إليه، وكل ما يأتي بعده من الاسماء نعت له وصفة لوصفه ومتعلقة به، فتوصف سائر الاسماء بأنها أسماء (الله) تعالى، وتعرف في الأغلب بالاضافة إليه) ف(كل اسم أظهره الله فهو صفة هذا الاسم ونعته)، فهي (مضافة منسوبة إليه ومشيرة بخواصها عليه، وتعرف به جميع الاسماء والصفات ولا يضاف هو إلى شئ سوى الذات)، (ثم إنه أول الاسماء الحسنى، وجعل افتتاح كل سورة من القرآن: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، لكونه أول الاسماء والرحمة أول الاشياء)، (ومن دعا بهذا الاسم فقد دعا بجميع الألف اسم التي في جميع الكتب المنزلة)[٧٥].

---

[٧٤] إقتصرنا في التعريف باسم (الله) على مقتطفات من كتاب ابن عطاء الله: (القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد).

[٧٥] القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد: ص٩، ١٧، ٢٢، ٢٥، ٢٦.

(وهذا الاسم المفرد جل ذكره، هو جامع لجميع الاشياء كلها، وهي كلها شارحة له ومشيرة إليه ومعبرة عنه، والعالم كله علويه وسفله -بما فيه من عجائبه وغرائبه- صادر عنه)، (وإن تعددت الاسماء فالمقصود منها واحد، وهو (الله)، وكل الاسماء هي صفته ونعته، وهو أولها وأصلها، والاسماء كلها سرت في العالم سريان الارواح في الاجسام) (فما من موجود دق أو جل، علا أو سفل، كثف أو لطف، كثر أو قل، إلا وأسماء الله محيطة به عيناً ومعنى، ومقتضى اسم الألوهية جامع لجميعها) (ومن لطف الله تعالى أن أظهر من علمه وقدرته بهذا الاسم ما احتملته عقول خلقه ليصل حبلهم و-بفضله- فطرتهم التي فطرهم على معرفته: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا** أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (الأعراف: ١٧٢)[٧٦].

(ومن خواصه أنه اسم كامل في حروفه تام في معناه، خاص بأسراره، مفرد بصفته، فكان أولا (اللهُ) فحذف من الألف تبقى (لله)، ثم حذفت منه اللام الأولى فبقى (له)، ثم حذفت اللام الثانية فبقى (هو)، فكان كل حرف منه تام المعنى، كامل الخصوصية لم يتغير منه معنى، ولا

---

[٧٦] المصدر السابق: ص٣٦.

اختلف بتفريق حروفه منه فائدة ولا نقصت منه حكمة، ولكل لفظة منه معان عجيبة، مستقلة بذاتها غريبة[٧٧]).

(ومن عرف اسم الله أُقيم بشواهد الهيبة والجلال، وخُص بمزيد القربة والكرامة والافضال، ومن انكشف له سر معنى حكمته انفصلت عنه رعونة البشرية ولاحت له هيبة جلال عز الربوبية، وتحقق له محض العبودية: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **قُلِ اللَّهُ**) (الرعد: ١٦)، واختار (الله): (**قُلِ اللَّهُ** ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) (الأنعام: ٩١)، فهو الاسم الاعظم المقدس المنزه المكرم، اسم ذاته المنعوت بصفاته، المخصوص بالتقديم على الاسماء، والتشريف والتعظيم)[٧٨]، فهو اسم جليل لرب جليل (ألف كتابه بنقطة، وخلق خلقه من نقطة، ويميتهم بقبضة، ويحييهم بنفخة)[٧٩].

وقد روي (أن رجلاً قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: (لا يزال لسانك رطباً من ذكر

---

[٧٧] المصدر السباق: ص٢٣.

[٧٨] المصدر السابق: ص٣٢،٣١.

[٧٩] المصدر السابق: ص٥٣.

الله)[٨٠])، فجعل ذكر الله أفضل العبادات: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا **اللَّهَ** ذِكْراً كَثِيراً) (الأحزاب: ٤١)، ومدح أهل هذا الذكر: (وَالذَّاكِرِينَ **اللَّهَ** كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (الأحزاب: ٣٥)، وأمر بالزيادة فيه: (وَاذْكُرُوا **اللَّهَ كَثِيرا**ً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الجمعة: ١٠) ، أكثر من أي ذكر: (فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ **أَشَدَّ ذِكْراً**) (البقرة: ٢٠٠)، فذكر الله أكبر من كل عبادة: (**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**) (العنكبوت: ٤٥)، وهو ضامن لذكر الله للعبد: (**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ) (البقرة: ١٥٢)[٨١].

---

[٨٠] حديث صحيح الاسناد رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم.

[٨١]قال في (القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد): (وعنى ذكر الله سبحانه لعبده أن من ذكره بالتوحيد ذكره بالجنة والمزيد، ومن ذكره باسمه المفرد -أعني (الله)- ودعاه بإخلاص أجابه، ومن ذكره بالشكر ذكره بالمزيد، ومن هلله أجله، ومن سبحه أصلحه، ومن حمده أيده، ومن استغفره غفر له، ومن رجع إليه أقبل عليه)، و(ذكر الله للعبد، أن يجري على لسانه ذكره، كما روى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، **فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به،** ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته)، فـ(ما

• في اشتقاق لفظ (الله):

المختار عندنا أن اسم (الله) أعرف المعارف، جامد غير مشتق، والقائل باطلاق اشتقاقه قال هو مشتق من الوله، ومن الحجب، ومن العلو، وذكر ابن عطاء رحمه الله في (القصد المجرد في معنى الاسم المفرد) (ص١٨-٢٠) بعض دلالات الاشتقاق، وكما يلي:

١- ((فأما اشتقاقه من معنى (الوله) فأصله (إله)، و(الإله) هو الذي يوله له، ويقصد في طلب الحوائج، ويفزع اليه في النوائب، ويرجى فضله، ويخاف عدله،...، وقيل: من معنى (إله) زيدت فيه اللام للتفخيم، فقيل (الإله) ،ثم حذفوا الهمزة المتخللة بين اللامين، وأدغموا اللام الأولى التي للتفخيم، في اللام الثانية التي للتعظيم، فعظمت فقيل: (الله)، واسم (الله) من الألوهية، هو اسم يوجب الوله، إما لشدة طرب العبد وسروره، واما لفرط شدة حزنه وخوفه وذعره، فيكون بين وقتين، وقت قبض، ووقت بسط، ففي حالة القبض يوجب له هيبة، يصحب طرفها دهشة، وفي حالة البسط يوجب له قربة، ويصحب طرفها فرحة، فمن عرف ربه فزع إليه ودعاه، ووله له، وأعرض عمن سواه، وآثر رضاه على هواه)، (واسم الألوهية عبارة عن وجوه القلوب متوجهة بالجمع والاخلاص إليه، ووجوه الاجسام وأعضاؤها، مقبلة

ذكره الذاكرون إلا بذكره لهم، وما عرفه العارفون إلا بتعريفه إياهم، وما وحده الموحدون إلا بعلمه لهم): ص٧٩.

بصدق الخشوع في العبادة عليه، فإنه الواجب الوجود المطلق، الحقيقي الحق، وكل ماسواه هالك، فانٍ، باطل.

٢- وأما اشتقاقه من معنى (الحجب)، فأصله (لاه)، ومعناه: احتجب عن الخلق، وحجب أبصارهم عن رؤيته في الدنيا وفي ذلك قال الشاعر:

لاهت فما عرفت يوماً بجارحة   ياليتها ظهرت حتى رأيناها

فمن عرف ربه راقبه، وحاسب نفسه، وعلم أنه يراه من حيث لايراه، فهو يستحيي منه.

٣- وأما اشتقاقه من معنى العلو والرفعة،فأصله أيضاً (لاه)، يقال: لاهت الشمس إذا علت وتوسطت قبة السماء في علو مركزها واستوت حالة وقوفها كما قيل:

لاه الإله وفي أعلى العلا حقاً   حسبي به فعلي إليه يرقى))

- **في قدر العلم بصفات (الله):**

(إن معرفة الله غاية الغايات، وتوحيده أجل وأكمل النهايات)، وإن (أشرف المعرفة معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأول طريقها: زيادة المعرفة بالعلم والتقوى، وثانيها: الحرية من رق الشهوة والهوى، والثالثة: تزكية النفس بالتخلق بأخلاق المولى)، (وإنما كانت سعادة العبد وخصوصيته في

التخلق بأخلاق الله تعالى، والتحلي بمعاني أسمائه وصفاته بقدر ما يتصور في حقه أن يتصف بمحاسنها، إلى أن يكون العبد (ربانياً) أي قريباً من الرب جل وعلا): (وَلَكِنْ كُونُوا **رَبَّانِيِّينَ** بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) (آل عمران: ٧٩)، فـ(إن من أقر بفضل أسماء الله وقرأها فهو المسلم وله (الإفادة)، ومن عرفها ودراها فهو المؤمن وله (الزيادة)، ومن علم معانيها واتصف بها فهو العارف وله (المشاهدة))[٨٢].

[٨٢](القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد): ص٢٧، ٢٩، وقال ابن القيم رحمه الله: (إن لكل اسم منها له تعبد مختص به علماً ومعرفة وحالاً وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الاسماء والصفات التى يطلع عليها البشر فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم...، وهذه طريقة الكمل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) (الأعراف: ١٨٠))، مدارج السالكين: ٤١٩/١.

ثانياً: من نور الكتاب:
وصف (الله) في أعظم آية في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة: ٢٥٥)

١-(اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ):

- **الله: المعبود بحق، لا معبود بحق سواه:**

(الله): اسم خالق الوجود الذي يعرفنا بنفسه في هذا الآية، وهو الاسم الفرد الجامع الذي حماه عن أن يتسمى به غيره، فما تجرأ مخلوق على أن يتسمى به أو يسمي به من سواه، فكان هذا الاسم بدلالته على ربنا: (أعرف المعارف)، فهو الذي به وحده يكتسب كل ما سواه إمكان أن يعرف، بل إنك لن تعرف نفسك إلا إن عرفته، وهو الذي توله به القلوب عما سواه، فتعبده بكل الحب وأقصى الذل.

(لا إله إلا هو) : لا معبود بحق في الوجود إلا (هو)، ف(هو) وحده الإله الحق، لا إله بحق سواه.

٢-(الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ):

• الحي بذاته، القيوم بكل ما سواه:

(**الحي**) هو الكامل الاتصاف بالحياة[83]، وهي صفة بها الادراكُ والفعل، وحياة الله (ذاتية) لم تأت من مصدر آخر كحياة الخلائق المكسوبة الموهوبة لها من الخالق ، فهو الذي يفيض على الخلق بالحياة ويستمد كل ما سواه حياته منه، ولا يستمد هو حياته مما سواه لكمال استغنائه.

إن الله حي أكمل حياة، لم يسبقها موت ولا يعقبها موت، فهي حياة أزلية أبدية لا تبدأ من مبدأ ولا تنتهي إلى نهاية، متجردة عن معنى البدء والنهاية المصاحب لحياة الخلائق، وله فيها كل يوم شأن من كمالاته التي لا تنتهي، وهو (رفيع الدرجات) (المتعالي) الذي لا ينفك أن يكون له علو على كل ما كان ويكون من علو!

(**القيوم**) المعطي كل شئ قيامه خلقاً وتدبيراً، والحافظ لكل شئ سواه، فلا يدور كوكب ولا يدق قلب إلا بقيومية (**الله**) عليه: (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) (الرعد: ٣٣)[84]، وهي مثلما تعني قيامه –سبحانه– على كل موجود وتولي شؤونه، فهي تعني قيام كل موجود به، فلا قيام لشيء أو لشأن إلا مرتكناً إلى وجود الله القيوم وتدبيره.

---

[83] والتعريف بـ(ال) دال على الكمال والقصر، فالله هو وحده الحيّ أكمل الحياة، لا حيّ سواه على الحقيقة، فهو الذي لا تُسلب منه الحياة، لأن أحداً لم يعطه الحياة، وكل من سواه يجوز عليه الموت.

[84] والقيوم: القائم بذاته، جاء معرفا ب(ال) لأنه لا قائم بذاته في الوجود سواه حصراً، وكل ما سواه قائم بغيره ويستمد قيامه منه.

فهو الحي بذاته الذي به وجدت حياة كل من سواه، وهو القيوم بحياة غيره، الذي بمدده يبقى كل من سواه، فالحي هو الذي لا يكون شئ إلا بإيجاده، والقيوم هو الذي لا يدوم شئ إلا بإمداده[٨٥].

(**لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**): (السنة[٨٦]): هي الكلل والنعاس الذي يسببه التعب، و(النوم): السبات اليومي الذي يعتري الأبدان حين يتوفى الله الأرواح منها فكأنه (موت مؤقت)، ثم يرسلها إلى أجل مسمى، وهو غير الحاصل عند الموت إذ يمسكها ولا يرسلها من بعد: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا

[٨٥] راجع قوله صـ٣١: (وإنما أوجدك بعد أن لم تكن شيئا مذكوراً، وأمدك بعد إيجادك بما فيه قيامك، ولا دوام لوجودك إلا بمدده، فهما (نعمتان ما خرج موجود عنهما، ولا بد لكل مكوَّن منهما، نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد))، وهاتان النعمتان هما أصل الغريزتين الأساسيتين اللتين تضبطان دوافع السلوك الإنساني، وهما غريزة البقاء: (حفظ الذات)، وغريزة الإمتداد: (حفظ النوع)، فأما الغريزة الأولى فتدفعك لإرادة البقاء في الحياة، فتسعى لأن تشبع عند **الجوع** أو تحتمي عند **الخوف**: لكي (تبقى) وتدفع عن نفسك الموت، وأما الغريزة الثانية فيحكمها رسوخ يقين الموت القادم في وعيك، وبالتالي يتشكل دافع في النفس لإرادة (الامتداد) بعد الحياة، يعبر عن نفسه عضوياً بإنجاب الذرية التي تضمن بقاءك من خلال الولد الذي تشكل من بعضك، وهذا مما يضمن حفظ النوع الإنساني، كما وتشبع هذه الغريزة من خلال الانجاز المادي الذي يخلد مرورك العابر في الدنيا.

[٨٦] والسِّنة فِعْلة من الوسن، وهوأول النوم.

فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الزمر: ٤٢).

وحياة الله أكمل حياة، فلا يكون فيها ولا يجوز عليها مجرد (النوم): الذي هو (أقل الموت)، وقيومية الله بكل ماسواه أكمل ما تكون، فلا ينقص دوام قيامه بكل شؤون خلقه ولا يحدث فيه مجرد (السنة): التي هي (أقل النوم المتسبب من التعب)، وهذا تحقيق لكمال حياته بذاته واستغنائه، ودوام تدبيره لكل من سواه، وفيه تطمين من المعبود للعابد، كأنه يقول: **(إعرف قدر نفسك فإنك ميت: من الموت جئت وإلى الموت ذاهب، وربك حي لا يموت، ونم أنت ملء جفونك واطمئن على ما يكون من تدبير شأنك، لأن ربك القائم على أمرك منذ خلقت ومدى وجودك لا يتعب، وقد كفاك بدوام قيوميته التدبير)**.

٣- (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ):

- **امتد ملك الله حيث وجد شئ أو وجد المكان:**

(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ): (اللامُ) للتملك، و(ما): تفيد ذوات الموجودات جميعاً سوى الله، من غير العاقل والعقلاء، والمراد (بالسماوات والأرض) استغراق أمكنة الموجودات، فقد دلت الجملة على (إحاطة وشمول) ملك الله للمكان وللموجودات التي فيه، وإذا ثبت ملكه للكل ثبت أنّه لا يشذّ عن ملكه موجود، فحصل معنى (الحصر والقصر) الذي زاده تأكيداً بتقديم (له): أي أن **ملكها (جميعاً) له (وحده)**.

(**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**[٨٧]): حيث كان الوجود أو وجد موجود، فلا سلطان لشيء على مكان أو على شيء سوى السلطان المطلق لله، ولا يشارك الله في ملكوته وسلطانه أحد، حتى بأدنى أنواع الملك وهي (الشفاعة)، و(الشفاعة[٨٨]) : الوساطة في طلب النافع، والشفيع هو طالب حاجة يرجو قضاءها ويعلم أن الأمر ليس بيده وإنما بيد المشفوع عنده، فالشفاعة إدلاء، والشفيع يدلي للملك بحاجة المشفوع له، بما كان للشفيع من حسن سابقة أو يد، فيكون له نوع نصيب من الملك، نفاه الله تعالى عن أن يكون لأي مخلوق، فلا يملك أحد مجرد أن يتكلم إلا بإذنه ولا يتقدم إلا بإذنه، ولا يشفع عنده أحد بحق وإدلال لأنّ المخلوقات كلها ملكُه[٨٩]، ولكن يشفع عنده من أراد هُو أن يُظهر كرامته عنده فيأذَنَ له بأن يشفع فيمن أراد هو العفوَ عنه.

---

[٨٧] (مَنْ) استفهام زيد بعده (ذا) للتأكيد أن ليس ثم (ذا) مشار إليه معين!، وليس ثمّةَ متطلع ينصب نفسه لادّعاء هذا الحكم، فأخرجه مخرج الاستفهام الإنكاري لأنه أقوى من النفي، بقرينة الاستثناء منه بقوله: (إلا بإذنه).

[٨٨]وهي مشتقة من الشفع ضد الوتر، يقال شفع كمنع إذا صيّر الشيء شفعاً، وشفع أيضاً كمنع إذا سعى في الإرضاء ونحوه لأنّ المغضوب عليه والمحروم يبعد عن واصله فيصير وتراً فإذا سعى الشفيع بجلب المنفعة والرضا فقد أعادهما شفعاً، فالشفاعة تقتضي مشفوعاً إليه ومشفوعاً فيه، ولا يتصدّى لها إلاّ من يتحقّق قبول شفاعته، ويقال شفع فلان عند فلان في فلان فشفَّعهُ فيه أي فقبل شفاعته، والشفاعة تكون في دفع المضرة وتكون في جلب المنفعة.

[٨٩] والشفاعة المنفية هنا مراد بها الشفاعة التي لا يسع المشفوعَ إليه ردّها، فلا يعارض ما ورد من شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة لأنّ تلك كرامة

إمتد ملك الله حيث المكان، فحيثما وجد مكان أو شيء في المكان فثم ملك الله وحده وسلطانه المطلق على كل موجود، وملك الله أتم ملك فلا يشاركه في ملكه وسلطانه على كل شيء أحد، – حتى ولو بمجرد سلطان الشفيع الذي له يد فتسمع له كلمة عند الملك، وهي أدنى درجات الملك!–.

٤– (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ):

- **يحيط علم الله بكل حدث أو شيء في الزمان:**

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ): أحاط علم الله[٩٠] بكل حدث أو شيء في الزمان، من عالم الشهود ومن عالم الغيب غير المشهود، فالذي بين أيدينا هو عموم

أكرمه الله تعالى بها وأذن له فيها إذ جاء في حديث الشفاعة: **(أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه الناس ليكلّم ربّه فيخفّف عنهم هَوْل موقف الحساب، فيأتي حتى يسجد تحت العرش ويتكلم بكلمات يعلّمه الله تعالى إياها، فيقال يا محمدُ ارفع رأسك، سَل تعطَه، واشفَع تشفّع)**، فهي ترجع إلى قوله تعالى: **(من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)**.

[٩٠]علم الله (حضوري) لا يظرفه الزمان، وإن المستقبل والماضي في علمه سواء، يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله: ((متى): زمان، و (أين) مكان، والزمان

الحاضر والواقع المشهود (عالم الملك) الذي تراه العين، وهو أدعى لأن يكون بإمكاننا معرفته، والذي خلفنا هو الغيب الخفي (عالم الملكوت) الذي لا ندركه بحواسنا، وكذلك ما مضى قبلنا مما لا نعلمه، وما يخبؤه لنا المستقبل مما لا ندري إن كنا سنعلمه.

(وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ[٩١] إِلاَّ بِمَا شَاء)[٩٢]: حتى إذا اجتمع البشر جميعاً مع بعضهم فلن يحيطوا (بشيء) من أقل القليل من علم الله إلا بمشيئته وبالذي يشاؤه، **أي لا يعلمون إلا العلم الذي يريد تعليمه إياهم، متى يريد وبالمقدار الذي يريد!.**

(وقوله (إِلاَّ بِمَا شَآءَ) هو إذن منه سبحانه بأنه سيتفضل على خلقه بأن يشاء لهم أن يعلموا شيئا من معلومه، وإن كل شيء اكتشفه العقل البشري، كان مطموراً في علم الغيب، وكان سراً من أسرار الله، وبعد ذلك أذن الله للسر أن ينكشف حين شاء

والمكان ظرفان للحدث، فالشيء الحادث هو الذي له زمان ومكان يظرفانه ويحتويانه، ومادام الله ليس حدثاً فليس متعلقاً به زمان أو مكان، لأن الزمان والمكان نشأ عندما خلق الله وأحدث هذا الكون، فلا تقل: (متى) لأن (متى) خُلِقَت به، ولا تقل (أين) لأن (أين) خُلِقَت به، ولأنهما ظرفان: هذه للزمان وهذه للمكان، ولا يظرف الله خالق الكل شئ). إ هـ بتصرف.

[٩١] (العلم): مطلق الادراك، وهو الصفة التي تعلم بها الأشياء على وفق ما هي عليه.

[٩٢] (لا يحيطون): لا يعلمون علماً تاماً، ذلك أن الإحاطة بالشيء تقتضي الاحتواء على جميع أطرافه بحيث لا يشذّ منه شيء من أوله ولا آخره.

بعد أن كان خفياً مستوراً الكون، فعرفناه، ولكل سر في الكون ميلاد كميلاد كالإنسان تماماً، وميعاد يظهر فيه، حين يأذن الله لهذا السر ان يولد)[٩٣].

أحاط علم الله كل حدث أو شئ في الزمان، في عالم الغيب وعالم الشهود، ماضٍ أو حاضر أو مستقبل، ولو اجتمع الخلق فلن يعلموا إلا ما يأذن لهم بعلمه، مما يريد ومتى ما يريد وبقدر ما يريد.

٥- (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا) :

- **قدرة الله لا يحدها حد ولا يعجزها شيء:**

الكرسي في الاصل منسوب إلى (الكِرس) بكسر الكاف، أي المتلبد والمجتمع، وكل مجتمع من الشيء (كرس)، ومنه الكراسة وهي عدة أوراق مجمعة، فمادة (الكرسي) (الكاف والراء والسين) تدل على التجميع، وتدل على الأساس الذي تثبت عليه الأشياء، وكرسي الله آية تتلبد دونها السماوات وتجمع فيها.

فـ(كرسي) الله، آية من آيات النفوذ الالهي ضمت الوجود جميعاً وكرسته ووسعته، مع كل ما يكون فيه من توسع وتمدد لا ينتهي: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) (الذاريات: ٤٧)، حتى ان بقية الوجود والسماوات جميعاً بالنسبة إليه

---

[٩٣] من كلام الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله في خواطره عن القرآن، (بتصرف).

كحلقة اصبع صغيرة في صحراء ممتدة[٩٤]، وقد نسب الله تعالى هذه الآية لذاته لعظم قدرها، **واذا كان قدر آية واحدة من آيات الله بحيث تسع السماوات والارض جميعاً بهذا الوصف، فكيف بقدرة رب هذه الآية؟!، ألا إن قدرة الله لا يحدها شيء، و(إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: ٢٠).**

(ولا يؤوده حفظهما)[٩٥]: وهي أكمل قدرة فلا يشق أو يثقل على قدرة الله أدنى ثقل أن يحفظ الكرسي والوجود الذي يحيط به الكرسي، وكل ذرة صغيرة أو كبيرة في السماوات أو في الأرض، ليدور كل كوكب في مداره، وكل ذرة في مسارها وموضعها من الوجود الذي خلقها لتكون فيه[٩٦].

وهنا يقع سر الحفظ في هذه الآية العظيمة، وأنت تقر لربك العظيم بكمال قدرته التي وسعت الوجود حفظاً، وهو يراك في مكانك

---

[٩٤] **قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: (سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال: يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة)**، ذكره ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري)، وله شاهد بسند صحيح.

[٩٥] آده: جعله ذا أود، والأَوَدُ: العِوَج، ومعنى آده أثقله لأن المثقَّل ينحني فيصير ذا أَوَد.

[٩٦] وجاء بـ(لا) للدلالة على الإطلاق لما لا يمكن أن يحصل، أي إنّ الذي أوجد هاته العوالم لا يعجز عن حفظها.

الصغير من الكون الكبير، ومثلما أنه حفظ الشمس الكبيرة لتدور في فلكها وترسل أشعتها، فهو القادر على أن يحفظك وأنت المخلوق الصغير، ويحفظ لك ما يصلحك وما يصلح لك، في طريقك وأنت تكدح إلى ربك كدحاً حتى تلاقيه!

٦- (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ):

- **الله: أعلى من كل قدر يتوهمه عنه من سواه، ويستصغر بالنسبة إليه كل ما سواه:**

لعلك الآن وقد لمحت بصيرة قلبك وصف (الله) أنه: (المعبود بحق، الحي بذاته، القيوم بكل ما سواه، الذي امتد ملكه حيث المكان، واستغرق وأحاط علمه آناء الزمان، ولا يحد قدرته حد)، تظن أن بإمكانك أن تكون تصوراً أو خيالاً عنه؟، ألا فلا تجرؤ أيها المخلوق، وإنما اعلم أن خالقك الله هو: (العلي) (العظيم)!

هو (**العلي**): الذي يعلو أن يحيط به علم العارفين أو وصف الواصفين[٩٧]، وأعلى قدراً من كل علو يتوهمه من سواه عنه، وهو رفيع الدرجات العلي عن المكان أن يحيط به[٩٨]، وكل شئ دونه، سواء كان الوجود كله أو عقلك الجميل الذي وهبك، فكلها مخلوقات، وجل الخالق وعلا عن أن يحيط به مخلوق!، فالله هو (**العلي**) في المكانة وعلى كل تصور للمكان يمكن أن يرد في خاطرك الكليل عن علو ذاته وجلال

---

[٩٧] (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الأنعام: ١٠٣).

[٩٨] (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ) (غافر: ١٥).

قدره، و(عن أن يتحد به شيء أو يتحد هو بشيء، وعن أن يحل في شيء أو يحل فيه شيء).

والله هو (**العظيم**) الذي يستصغر بالنسبة إليه كل ما سواه، وجلت قدرته عن أن يقارن بها شيء أو أحد، فلا ينازعه أحد فيما يريد، ولا يفعل أحد ما لا يريد، ولا يفعل مثل فعله أحد.

لا عليّ ولا عظيم في الوجود إلا (الله)، فاجتهد حين تركع في صلاتك أن تعظم الله وتستصغر كل شئ دونه وأنت تردد (سبحان ربي العظيم)، فتُخلي قلبك من كل هَمٍّ بشيء سوى الله، وأنت تستعد للحظة تكون أقرب ما تكون فيها إلى الله وأنت ساجد، تردد (سبحان ربي الأعلى)، حيث وجهك ملتصق بالأرض أذل ما تكون، تدعوه وأنت تظهر فقر المخلوق الأصيل إلى خالقه، وتصف عجزك عن مجرد توهم جلال ربك، وتعلي قدره الأعلى عن أن توفيه حقه بفعل منك أو وصف له يصدر منك أيها المخلوق الصغير[٩٩]!

---

[٩٩] حين نزلت (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) (الواقعة: ٩٦)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في ركوعكم)، وحين نزلت (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) (الأعلى: ١)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في سجودكم)، وقال صلى الله عليه وسلم: (أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء، فقمن أن

يستجاب لكم)، ذلك أنه: (أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد)، وإن في الركوع تعظيما للرب حتى يستصغر دونه كل ما سواه في الوجود، فهو عام في إعلاء قدر الله دون كل الوجود بقولك: (سبحان ربي العظيم)، فهو أمر بين الله وبين كل الوجود، وهو الأولى إطلاقاً على الصلاة ضمن الجماعة، وأما السجود فهو تصغير شأن النفس وهي تعلي شأن الله عن كل وهم يرد في خاطرها عن علوه سبحانه، فالسجود خاص بينك وبين الله، تكون فيه أقرب ما تكون إلى الله وأنت تردد: (سبحان ربي الأعلى)، وأولى أن تسمى به صلاة المنفرد، كما أمر الله مريم عليها السلام بالأمرين: (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) (آل عمران: ٤٣)، فقوله: (اسجدي) لصلاتها منفردة، وقوله: (واركعي مع الراكعين) لصلاة الجماعة كما بينه ابن القيم رحمه الله.

في منهج البناء الموضوعي للآية

علمت الرسل الناس تقديس خالق الوجود، بإثبات مفصل لكل وصف كمال وجمال وجلال وتعالٍ لله يؤكد هذا التقديس، وعلمتهم تسبيحه ونفي كل نقص وعيب عنه إجمالاً، ذلك أن الإثبات لا يكمل إلا بصيانته عن كل ما يتضمن مخالفته، فأثبتت الرسل لله ربنا السبوحية الأبية على كل نقص وعيب، والقدوسية المشتملة على الإتصاف بكل كمال وجلال.

وجاءت هذه الآية واصفة الله وفق هذا المنهج، في مقاطع ستة:

رقم المقطع	منهج آية الكرسي في وصف الله	المقطع المشتمل على التنزيه نفياً للنقص، وعلى التقديس إثباتاً للكمال
١.	الله هو **المعبود بحق**، لا معبود بحق سواه.	(اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)
٢.	هو الحي بذاته، الذي **به وجدت حياة كل من سواه**، وحياته أكمل حياة لا يكون فيها مجرد النوم الذي هو أقل الموت، وهو القيوم بحياة غيره، الذي **بمدده يبقى كل من سواه**، وهو قيام كامل دائم، لا ينقص دوامه بكل شؤون خلقه مجرد السنة التي هي أقل النوم.	(الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ)
٣.	**امتد ملكه حيث المكان**، وحيثما وجد المكان فثم ملك الله وسلطانه المطلق على كل موجود، ولا يشاركه في ملكه أحد، حتى ولو بمجرد سلطان الشفيع الذي له يد عند الملك -وهي أدنى درجات الملك-.	(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)

رقم المقطع	منهج آية الكرسي في وصف الله	المقطع المشتمل على التنزيه نفياً للنقص، وعلى التقديس إثباتاً للكمال
٤.	استغرق **وأحاط علمه آناء الزمان**، وما يكون فيه من حدث أو شيء، ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء.	(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ)
٥.	**تسع قدرته كل شيء**، وقد وسعت آية واحدة من آيات نفوذه الوجود جميعاً!، فكيف بقدرة رب هذه الآية؟، ولا يثقل على قدرته أدنى ثقل أن يحفظ الكرسي والوجود الذي يكرسه الكرسي، ليدور كل كوكب في مداره، وكل ذرة في مسارها وموضعها من الوجود، وكل مَلَكَ من جنود الله في مقامه المعلوم في عالم الملكوت.	(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا)
٦.	وهو **العلي في المكانة والوصف**، على كل علو ووصف يخطر ببال، **وعن أن يحيط به مكان**، والعظيم في نفسه وفي كمال ذاته، **فيستصغر بالنسبة إليه كل ما سواه**، فلا يمكن أن يكون له **ند** مثله، أو **ضد** ينازع إرادته.	(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)

فضل الآية

لهذه الآية فضل كبيرٌ لما اشتملت عليه من أصول معرفة صفات الله تعالى وتوحيده ونفي الشرك وهو المطلب الأول للعقيدة ، أخرج مسلم عن أبي بن كعب، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (يا أبا المنذر **أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: اللّهُ لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم؟**، فضرب في صدري وقال: واللّهِ

لِيَهْنِك العلمُ أبا المنذر)، وفي (الصحيحين) عن أبي هريرة أنّ آتياً أتاه في الليل فأخذ من طعام زكاة الفطر فلما أمسكه قال له: **(إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح)**، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (صدقك وذلك شيطان)، وروى النسائي: **(من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلاّ الموت)**، وفيها فضائل كثيرة مجرّبة في الحفظ والأمن.

خاتمة

عجيب شأن نور هذا القرآن العظيم، وأعجب منه شأن من اتخذه مهجوراً!، وهو خسران عجيب لا يعادله خسران، حين يمر العمر دون أن تأخذ نصيبك من فرصة التعرف على الله الذي بيده ملكوت الوجود كما عرفك هو بنفسه في قرآنه العظيم، فتفقه أن:

(الله: هو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه، الحي بذاته وبه كانت كل حياة، القيوم بكل ما سواه، وبمدده تبقى الحياة، امتد ملكه حيث المكان، واستغرق علمه آناء الزمان، ولا يحد قدرته حد، وهو أعلى مكانة عن ما سواه، ومن كل علو يتوهمه عنه من سواه، وأعظم ذاتا عن أن تقارن عظمته بمن سواه، حتى يستحقر ويستصغر إلى جانب عظمته كل ما سواه).

هل تعلم من خالق لعينيك اللتين تقرأ بهما هذه الكلمات سوى الله الذي عرفته هنا بهذا المعنى وأنت تقرؤها؟، وهل ترى لعقل مهما بلغ من الذكاء والمعرفة أن يصف الله بهذا الكمال الذي يستقر في النفس باطمئنان حالما يدركه العقل، لأن

للحق حلاوة، وللصدق قوة وثبات تألفه الروح لأنه ينسجم مع أصل خلقتها وجبلتها، و(الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) (الإسراء: ٨٥)، وربي وربك هو الله باريء الروح الذي عرفها بنفسه في هذه الآية.

إنه هو الله إلهنا الحق، ومنه تفيض الحياة علي وعليك الآن وعلى كل من سواه، فمنه يستمد الوجود كل موجود سواه، وهو القائم بشأني وشأنك وشأن كل ما سواه، مع استغنائه عنا وعن كل ما سواه، وله الملك كله، والعلم كله، ولا يحد قدرته حد، وهو بعد هذا كله: العلي العظيم!، فهلا استجبت لندائه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ** وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (الأنفال: ٢٤)، وشرعت بالهجرة إليه: (**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ** إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) (الذاريات: ٥٠).

(الملحق الثاني)

الحكم العطائية

لأحمد ابن عطاء الله السكندري

صاحب هذه الحكم هو الإمام أحمد ابن عطاء الله السكندري المالكي، المتوفى عام ٧٠٩ من الهجرة، بدأ فتفقه ودرس التفسير والحديث واللغة والأدب على شيوخ له في مصر، وتلقى فقه السلوك على يد عالمين جليلين جمع كل منهما بين ضوابط العلوم الشرعية وأصول علم السلوك وتزكية النفس، أما أحدهما فهو الشيخ أبو الحسن الشاذلي ٦٥٦ هـ، وهو المرجع الأول في الطريقة الشاذلية، وأمّا الآخر فهو الشيخ أبو العباس المرسي ٦٨٦ هـ، الذي اشتهر إلى جانب غزارة العلم بالصلاح والتقوى، والذي قال له مرة: (إلزم!، فوالله لئن لزمت لتكونن مفتياً في المذهبين) – يريد مذهب أهل الشريعة ومذهب أهل الحقيقة–.

لمع اسم ابن عطاء الله عالماً من أجلّ علماء الشريعة، ودرّس علومها في الأزهر، وتخرج على يديه كثير من مشاهير العلماء، من أمثال الإمام تقي الدين السبكي وغيره كثير، وكان إذا جلس للنصح والوعظ والتوجيه، أخذ حديثه بمجامع القلوب، وسرى من كلامه تأثير شديد إلى النفوس، شهد له

بذلك أقرانه الذين كانوا في عصره، والعلماء الذين جاؤوا من بعدهم، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم.

أما (الحكم) التي وردت عنه، فهي مجموعة مقاطع من الكلام البليغ الجامع لأوسع المعاني بأقلّ العبارات، كلها مستخلص من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان لها حب قديم متجدد في قلوب الناس تعاهدته أجيال من السائرين الى الله، وقد تسابق كثير من العلماء في عصور مختلفة إلى كتابة شروح لهذا الكتيّب الصغير في حجمه والكبير في آثاره ونفعه، وفيما يلي هذه **الحكم مرقمة وفق تسلسل ورودها في مصادرها، مع بيان مواضع ورودها في كتاب (فقه الهجرة إلى الله):**

الصفحة	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	التسلسل
٣٨	من علامة الاعتماد على العمل: نقصان الرجاء عند وجود الزلل	١.
٤٧	إرادتك التجريد –مع إقامة الله إياك في الأسباب– من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب –مع إقامة الله إيّاك في التجريد– انحطاط عن الهمة العلية .	٢.
٣٩	سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار	٣.
٤٠	أرح نفسك من التدبير ، فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك .	٤.
٤٠	اجتهادك فيما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك: دليل على انطماس البصيرة منك .	٥.
٢٨	لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك ؛ فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي يريد ، لا في الوقت الذي تريد .	٦.
٤٢	لا يُشَكّكُنّك في الوعد عدم وقوع الموعود – وإن تعين زمنه – لئلا يكون ذلك قدحاً في بصيرتك ، وإخماداً لنور سريرتك .	٧.
٣٥	إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك ، فإنه مافتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك ، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك ، والأعمال أنت مهديها إليه ! وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك ؟	٨.
٤٥	تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال .	٩.
٣٣	الأعمال: صور قائمة ، وأرواحها: وجود سر الإخلاص فيها .	١٠.
٥٤	ادفن وجودك في أرض الخمول ، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه .	١١.
٥٤	ما نفع القلب شيء مثل عزلة، يدخل بها ميدان فكرة.	١٢.

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
١٣.	كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته؟ أم كيف يرحل إلى الله ، وهو مكبل بشهواته ؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله ، وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار ، وهو لم يتب من هفواته ؟	**٥٨**
١٤.	الكون كله ظلمة ، وإنما أناره ظهوره الحق فيه ، فمن رأى الكون ، ولم يشهده فيه ، أو عنده ، أو قبله ، أو بعده: فقد أعوزه وجود الأنوار ، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار .	**٩٣**
١٥.	مما يدلك على وجود قهره – سبحانه – أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه .	**٩٠**
١٦.	كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي أظهر كل شيء ؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر بكل شئ؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر في كل شيء ؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهوالذي ظهر لكل شيء ؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو أظهر من كل شيء ؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الواحد الذي ليس معه شيء ؟ كيف يصور أن يحجبه شيء ، وهو أقرب إليك من كل شيء ؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء ، ولولاه ما كان وجود كل شيء ؟ يا عجباً ! كيف يظهر الوجود في العدم !؟ أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم !؟	**٩١**

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
١٧.	ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه .	٤٥
١٨.	إحالتك الأعمال على وجود الفراغ: من رعونات النفس .	٣٨
١٩.	لا تطلب منه أن يخرجك من حال ؛ ليستعملك فيما سواها ، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج .	٤٦
٢٠.	ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة : الذي تُطلب أمامك ، ولاتبرجت له ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها (إنما نحن فتنة فلا تكفر) (البقرة: ١٠٢) .	٨٤
٢١.	طلبك منه: اتهام له ، وطلبك له: غيبة منك عنه، وطلبك لغيره: لقلة حيائك منه،وطلبك من غيره: لوجود بعدك عنه .	٣٢
٢٢.	ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه .	٣٩
٢٣.	لا تترقب فراغ الأغيار ، فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه .	٤٩
٢٤.	لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها ، وواجب نعتها .	٢٤
٢٥.	ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك	٢٩
٢٦.	من علامات النُّجح في النهايات: الرجوع إلى الله في البدايات .	٤٨
٢٧.	من أشرقت بداياته: أشرقت نهاياته .	٤٨
٢٨.	ما استُودع في غيب السرائر: ظهر في شهادة الظواهر .	٧

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
٢٩.	شتان بين من يَستدل به ، أو يستدل عليه : المستدِل به عرف الحق لأهله ؛ فأثبت الأمر من وجود أصله ، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه ، وإلافمتى غاب؟ حتى يُستدل عليه، ومتى بعد؟ حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه.	١٠١
٣٠.	(لينفق ذو سَعَة من سعته) (الطلاق: ٧) الواصلون إليه ، (ومن قُدِرَ عليه رزقه) (الطلاق: ٧) السائرون إليه .	١٠١
٣١.	اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه ، والواصلون لهم أنوار المواجهة . فالأولون للأنوار ، وهؤلاء الأنوار لهم ؛ لأنهم لله ، لالشيء دونه : (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) (الأنعام: ٩١) .	١٠٣
٣٢.	تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب: خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب	١٨
٣٣.	الحق ليس بمحجوب ، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه ، إذ لو حجبه شيء: لستره ماحجبه ، ولو كان له ساتر: لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشيء: فهو له قاهر ، (وهو القاهر فوق عباده) (الأنعام: ١٨) .	٩٠
٣٤.	اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك ؛ لتكون – لنداء الحق – مجيباً ، ومن حضرته قريباً .	٥٥
٣٥.	أصل كل معصية وغفلة وشهوة: الرضا عن النفس ، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة: عدم الرضا منك عنها ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه، خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه ، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه ؟ وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه ؟	١٩
٣٦.	شعاع البصيرة: يُشهدك قربه منك ، وعين البصيرة: تشهدك عدمك لوجوده ، وحق البصيرة: يشهدك وجوده ، لا عدمك ، ولا وجودك	٩٨

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
.٣٧	كان الله ولاشيء معه ، وهو – الآن – على ما عليه كان .	**٥٥**
.٣٨	لا تتعد نية همتك إلى غيره ، فالكريم لا تتخطاه الآمال .	**٢٩**
.٣٩	لا ترفعنَّ إلى غيره حاجة ، هو موردها عليك ، فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعاً !؟ من لا يستطع أن يرفع حاجة عن نفسه؛ فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعاً !؟	**٢٩**
.٤٠	إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه، فحسن ظنك به لأجل معاملته معك ، فهل عودك إلا حسناً !؟ وهل أسدى إليك إلا مِنناً !؟	**٢٨**
.٤١	العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه ، ويطلب ما لا بقاء معه ، (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (الحج: ٤٦) .	**٢٦**
.٤٢	لا ترحل من كون إلى كون ؛ فتكون كحمار الرحى، يسير والمكان الذي ارتحل إليه: هو الذي ارتحل منه ، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون (وأن إلى ربك المنتهى) (النجم ، آية٤٢) ، وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله: فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها: فهجرته إلى ما هاجر إليه) ، فافهم قوله عليه الصلاة والسلام ، وتأمل هذا الأمر ، إن كنت ذا فهم والسلام .	**١٨**
.٤٣	لا تصحب من لا يُنهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله .	**٢١**
.٤٤	ربما كنت مسيئاً ، فأراك الإحسان منك صحبتك من هو أسوأ حالا منك .	**٢١**

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
٤٥.	ما قل عمل برز من قلب زاهد ، ولا كثر عمل برز من قلب راغب .	٣٤
٤٦.	حسن الأعمال: نتائج حسن الأحوال ، وحسن الأحوال: من التحقق في مقامات الإنزال .	٦٢
٤٧.	لا تترك الذكر ، لعدم حضورك مع الله فيه ، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة ، عما سوى المذكور ، (وما ذلك على الله بعزيز) (إبراهيم: ٢٠) .	٣٦
٤٨.	من علامات موت القلب عدم الحزن على مافاتك من الموافقات ، وترك الندم على مافعله من وجود الزلات .	٣٨
٤٩.	لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى ؛ فإن من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه .	٣٧
٥٠.	لا صغيرة إذا قابلك عدله ، ولا كبيرة إذا واجهك فضله .	٣٧
٥١.	لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ، ويحتقر عندك وجوده .	٣٤
٥٢.	إنما أورد عليك الوارد ؛ لتكون به عليه وارداً .	٨٠
٥٣.	أورد عليك الوارد ، ليستعملك من يد الأغيار ، ويحررك من رق الآثار .	٨٠
٥٤.	أورد عليك الوارد ، ليخرجك من سجن وجودك: إلى فضاء شهودك .	٨٠
٥٥.	الأنوار مطايا القلوب والأسرار .	٧٦

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
٥٦.	النور جند القلب ، كما أن الظلمة جند النفس ، فإذا أراد الله أن ينصر عبده: أمده بجنود الأنوار ، وقطع عنه مدد الظلم والأغيار .	٧٧
٥٧.	النور له الكشف ، والبصيرة لها الحكم ، والقلب له الإقبال والإدبار .	٧٨
٥٨.	لا تفرحك الطاعة ؛ لأنها برزت منك ، وافرح بها ، لأنها برزت من الله إليك : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) (يونس :٥٨) .	٦٧
٥٩.	قطع السائرين له ، والواصلين إليه ، عن رؤية أعمالهم ، وشهود أحوالهم . أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها ، وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها .	١٠٤
٦٠.	ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع .	٢٥
٦١.	ما قادك شيء مثل الوهم .	٢٥
٦٢.	أنت حر مما أنت عنه آيس ، وعبد لما أنت له طامع .	٢٥
٦٣.	من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان: قيد إليه بسلاسل الإمتحان .	٤١
٦٤.	من لم يشكر النعم: فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها: فقد قيدها بعقالها .	٤١
٦٥.	خف من وجود إحسانه إليك ، ودوام إساءتك معه: أن يكون ذلك استدراجا لك : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) (الأعراف: ١٨٢) .	٤٣
٦٦.	من جهل المريد أن يسيء الأدب ؛ فتؤخرالعقوبة عنه ، فيقول : لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد ، وأوجب الإبعاد ، فقد يقطع المدد عنه من حيث لايشعر ، ولو لم يكن إلا منع المزيد ، وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري ، ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد .	٤٣

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
٦٧.	إذا رأيت عبداً أقامه الله تعالى بوجود الأوراد ، وأدامه عليها مع طول الإمداد: فلا تستحقرن ما منحه مولاه ؛ لأنك لم تر عليه سيما العارفين ، ولابهجة المحبين ، فلولا وارد ماكان ورد .	٦١
٦٨.	قوم أقامهم الحق لخدمته ، وقوم اختصهم بمحبته : (كلا نمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً) (الإسراء:٢٠) .	١٠١
٦٩.	قلما تكون الواردات الإلهية إلا بغتة ، لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد .	٧٦
٧٠.	من رأيته مجيباً عن كل ما سئل ، ومعبراً عن كل ما شهد ، وذاكراً كل ما علم: فاستدل بذلك على وجود جهله .	١٩
٧١.	إنما جعل الدار الآخرة محلاً لجزاء عباده المؤمنين ؛ لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ؛ ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها .	٢٥
٧٢.	من وجد ثمرة عمله عاجلاً: فهو دليل على وجود القبول آجلاً .	٣٥
٧٣.	إذا أردت أن تعرف قدرك عنده: فانظر فيم يقيمك .	٤٦
٧٤.	متى رزقك الطاعة و الغنى به عنها فاعلم: أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة .	٣٤
٧٥.	خير ماتطلبه منه: ما هو طالبه منك .	٣١
٧٦.	الحزن على فقدان الطاعة – مع عدم النهوض إليها – من علامات الاغترار .	٣٨
٧٧.	ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته ، بل العارف من لا إشارة له ؛ لفنائه في وجوده، وانطوائه في شهوده .	٩٨
٧٨.	الرجاء ما قارنه عمل ، وإلا فهو أمنية .	٣٨
٧٩.	مطلب العارفين من الله: الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية .	٦٢

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
٨٠.	بسطك ؛ كيلا يبقيك مع القبض ، وقبضك ؛ كيلا يتركك مع البسط ، واخرجك عنهما ؛ كيلا تكون لشيئ دونه .	٦٥
٨١.	العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا ، ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل .	٦٥
٨٢.	البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح ، والقبض لا حظ للنفس فيه .	٦٥
٨٣.	ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك .	٤١
٨٤.	متى فتح باب الفهم في المنع: عاد المنع عين العطاء .	٤١
٨٥.	الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة ، فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها ، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها .	٢٤
٨٦.	إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى: فلا تستعزن بعز يفنى .	٢٦
٨٧.	الطي الحقيقي أن تطوي مسافة الدنيا عنك ؛ حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك	٢٦
٨٨.	العطاء من الخلق حرمان ، والمنع من الله إحسان .	٤١
٨٩.	جل ربنا أن يعامله العبد نقداً ، فيجازيه نسيئة .	٤٢
٩٠.	كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلاً .	٦٧
٩١.	كفى العاملين جزاءاً ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته ، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته .	٦٧
٩٢.	من عبده لشيء يرجوه منه، أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه، فما قام بحق أوصافه .	٦٥
٩٣.	متى أعطاك: أشهدك بره ، ومتى منعك: أشهدك قهره ، فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه عليك .	٤١
٩٤.	إنما يؤلمك المنع ؛ لعدم فهمك عن الله فيه .	٤١

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
٩٥.	ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وربما قضى عليك بالذنب: فكان سبباً في الوصول .	٣٧
٩٦.	معصية أورثت ذلاً وافتقاراً خير من طاعة أورثت عزاً و استكباراً .	٣٧
٩٧.	نعمتان ما خرج موجود عنهما ، ولا بد لكل مكون منهما ، نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد .	٥٥
٩٨.	أنعم عليك أولاً بالإيجاد ، وثانياً بتوالي الإمداد .	٢٣
٩٩.	فاقتك لك ذاتية ، وورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها ، والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض .	٢٣
١٠٠	خير أوقاتك: وقت تشهد فيه وجود فاقتك ، وترد فيه إلى وجود ذلتك	٢٢
١٠١	متى أوحشك من خلقه: فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به .	٤٤
١٠٢	متى أطلق لسانك بالطلب: فاعلم أنه يريد أن يعطيك .	٢٨
١٠٣	العارف لا يزول اضطراره ، ولا يكون مع غير الله قراره .	١٧
١٠٤	أنار الظواهر بأنوار آثاره ، وأنار السرائر بأنوار أوصافه ؛ لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ، ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر ؛ ولذلك قيل : إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب .	٩٧
١٠٥	ليخفف ألم البلاء عنك: علمك بأنه – سبحانه – هو المبلي لك ، فالذي واجهتك منه الأقدار: هو الذي عودك حسن الاختيار	٤١
١٠٦	من ظن انفكاك لطفه عن قدره: فذلك لقصور نظره	٣٩
١٠٧	لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك ، وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك .	١٩
١٠٨	سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية ، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية .	٨٢

الصفحة	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	التسلسل
٣١	لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ، ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك .	١٠٩
٤٤	متى جعلك في الظاهر ممتثلا لأمره ، ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره: فقد أعظم المنة عليك .	١١٠
٨٣	ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه .	١١١
٦٢	لا يستحقر الورد إلا جهول : الوارد يوجد في الدار الآخرة ، والورد ينطوي بانطواء هذه الدار ، وأولى ما يعتني به: ما لا يخلف وجوده، الورد هو طالبه منك ، والوارد أنت تطلبه منه ، وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه ؟	١١٢
٧٨	ورود الإمداد بحسب الاستعداد ، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار .	١١٣
٤٢	الغافل إذا أصبح ينظر: ماذا يفعل ؟ والعاقل ينظر: ماذا يفعل الله به ؟	١١٤
١٠٤	إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء: لغيبتهم عن الله في كل شيء ، فلو شهدوه في كل شيء: لم يستوحشوا من شيء .	١١٥
٢٦	أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته ، وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته .	١١٦
٩٧	علم منك أنك لا تصبر عنه: فاشهدك ما برز منه إليك	١١٧
٣٦	لما علم الحق منك وجود ملل: لون لك الطاعات ، وعلم ما فيك من وجود الشره: فحجرها عليك في بعض الأوقات ؛ ليكون همك إقامة الصلاة ، لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم .	١١٨
٣٦	الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب ، واستفتاح لباب الغيوب .	١١٩

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
١٢٠	الصلاة محل المناجاة ، ومعدن المصافاة : تتسع فيها ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار . علم وجود الضعف منك: فقلل أعدادها ، وعلم احتياجك إلى فضله: فكثر أمدادها .	٣٦
١٢١	متى طلبت عوضاً على عمل: طولبت بوجود الصدق فيه ، ويكفي المريد: وجدان السلامة .	٣٤
١٢٢	لا تطلب عوضاً على عمل لست له فاعلاً . يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلاً .	٦٦
١٢٣	إذا أراد أن يظهر فضله عليك: خلق ونسب إليك .	٦٦
١٢٤	لا نهاية لمذامّك إن أرجعك إليك ، ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك	٦٨
١٢٥	كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً ، وبأوصاف عبوديتك متحققاً	٦٧
١٢٦	منعك أن تدعى ما ليس لك مما للمخلوقين ، أفيبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين !؟	٦٧
١٢٧	كيف تخترق لك العوائد ، وأنت لم تخرق من نفسك العوائد .	٧٩
١٢٨	ما الشأن وجود الطلب ، إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب .	٣٠
١٢٩	ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ، ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذل والافتقار .	٣٠
١٣٠	لو أنك لا تصل إلا بعد فناء مساويك ، ومحو دعاويك — لم تصل إليه أبداً ، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه: غطى وصفك بوصفه ، ونعمتك بنعمته ، فوصلك إليه : بما منه إليك ، لا بما منك إليه .	٦٨
١٣١	لولا جميل ستره: لم يكن عمل أهلا للقبول .	٣٤
١٣٢	أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته .	٣٤

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
١٣٣	الستر على قسمين : ستر المعصية ، وستر فيها : فالعامة يطلبون من الله تعالى الستر فيها ، خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق ، والخاصة يطلبون من الله الستر عنها ، خشية سقوطهم من نظر الملك الحق .	٦٨
١٣٤	من أكرمك: فإنما أكرم فيك جميل ستره، فالحمد لمن سترك ، ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك .	٦٨
١٣٥	ما صحبك إلا من صحبك وهو بعيبك عليم ، وليس ذلك إلا مولاك الكريم ، خير من تصحب من يطلبك لا لشيئ يعود منك إليه .	٦٨
١٣٦	لو أشرق لك نور اليقين: لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها ، و لرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها .	٢٦
١٣٧	ما حجبك عن الله وجود موجود معه ، ولكن حجبك عنه توهم موجود معه .	٩٠
١٣٨	لو لا ظهوره في المكونات: ما وقع عليها وجود إبصار ، لوظهرت صفاته: اضمحلت مكوناته .	٩٥
١٣٩	أظهر كل شيء لأنه الباطن ، وطوى وجود كل شيء لأنه الظاهر .	٩٤
١٤٠	أباح لك أن تنظر ما في المكونات ، وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات : (قل انظروا ماذا في السماوات) (يونس: ١٠١) ، فتح لك باب الأفهام ، ولم يقل : (انظروا السماوات) لئلايدلك على وجود الأجرام .	٩٧
١٤١	الأكوان ثابتة بإثباته ، وممحوة بأحدية ذاته .	٩٤
١٤٢	الناس يمدحونك ؛ لما يظنونه فيك ، فكن أنت ذاما لنفسك ؛ لما تعلمه منها .	٢١

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
١٤٣	المؤمن إذا مدح استحيا من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه .	٢١
١٤٤	أجهل الناس من ترك يقين ما عنده ؛ لظن ما عند الناس .	٢١
١٤٥	إذا أطلق الثناء عليك – ولست بأهل – فأثن عليه بما هو أهله .	٢٢
١٤٦	الزهاد إذا مدحوا انقبضوا ، لشهودهم الثناء من الخلق ، والعارفون إذا مدحوا انبسطوا ، لشهودهم ذلك من الملك الحق .	١٠٤
١٤٧	متى كنت إذا أعطيت بسطك العطاء ، وإذا منعت قبضك المنع ، فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك ، وعدم صدقك في عبوديتك .	٢١
١٤٨	إذا وقع منك ذنب: فلا يكن سببا ليأسك ، من حصول الاستقامة مع ربك ؛ فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك .	٣٧
١٤٩	إذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء: فاشهد ما منه إليك ، وإذا أردت أن يفتح لك باب الخوف: فاشهد مامنك إليه .	٣٥
١٥٠	ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط: (لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً) (النساء: ١١) .	٦٤
١٥١	مطالع الأنوار: القلوب والأسرار .	٧٦
١٥٢	نور مستودع في القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب .	٧٥
١٥٣	نور يكشف لك به عن آثاره ، ونور يكشف لك به عن أوصافه .	٧٦
١٥٤	ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار .	٨٤
١٥٥	ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر ، إجلالاً لها أن تبتذل بوجود الإظهار ، وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار .	٨٣
١٥٦	سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم من أراد أن يوصله إليه .	٨٣

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
١٥٧	ربما أطلعت على غيب ملكوته ، وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد .	٨١
١٥٨	من اطلع على أسرار العباد –ولم يتخلق بالرحمة الإلهية– كان اطلاعه فتنة عليه ، وسبباً لجر الوبال إليه .	٨١
١٥٩	حظ النفس في المعصية: ظاهر جلي، وحظها في الطاعة: باطن خفي، ومداواة ما يخفى صعب علاجه .	١٩
١٦٠	ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك .	٢١
١٦١	استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك: دليل على عدم صدقك في عبوديتك	٢١
١٦٢	من عرف الحق: شهده في كل شيء ، ومن فنى به: غاب عن كل شيء ، ومن أحبه: لم يؤثر عليه شيئاً .	٩٩
١٦٣	غيب نظر الخلق إليك بنظر الله إليك ، وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك .	٢٢
١٦٤	إنما حجب الحق عنك: شدة قربه منك .	٩٢
١٦٥	إنما احتجب لشدة ظهوره ، وخفى عن الأبصار لعظم نوره .	٩٢
١٦٦	لا يكن طلبك تسبباً إلى العطاء منه فيقل فهمك عنه ، وليكن طلبك لإظهار العبودية وقياما بحق الربوبية .	٣٠
١٦٧	كيف يكون طلبك اللاحق سبباً في عطائه السابق !؟	٣١
١٦٨	جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل .	٣١
١٦٩	عنايته فيك لا لشيء منك ، وأين كنت حين واجهتك عنايته ، وقابلتك رعايته !؟ إذلم يكن في أزله إخلاص أعمال ، ولا وجود أحوال ، بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال ، وعظيم النوال .	٢٨

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
١٧٠	علم أن العباد يتشوفون إلى ظهور سر العناية ، فقال : (يختص برحمته من يشاء) (آل عمران: ٧٤) وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل ؛ اعتماد على الأزل ، فقال : (إن رحمته الله قريب من المحسنين) (الأعراف: ٥٦) .	٨٠
١٧١	إلى المشيئة يستند كل شيء، ولاتستند هي إلى شيء .	٣٩
١٧٢	ربما دلهم الأدب على ترك الطلب ؛ اعتماداً على قسمته ؛ واشتغالاً بذكره عن مسألته .	٣١
١٧٣	إنما يذكر من يجوز عليه الإغفال ، وإنما ينبه من يمكن منه الإهمال .	٣١
١٧٤	ورود الفاقات: أعياد المريدين .	٥٦
١٧٥	ربما وجدت في المزيد من الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة	٥٦
١٧٦	الفاقات بسط المواهب .	٥٦
١٧٧	إن أردت ورود المواهب عليك: صحح الفقر والفاقة لديك : (إنما الصدقات للفقراء) (التوبة : ٦٠) .	٥٦
١٧٨	تحقق بأوصافك: يمدك بأوصافه ، تحقق بذُلّك: يمدك بعزه ، تحقق بعجزك: يمدك بقدرته تحقق بضعفك: يمدك بحوله وقوته .	٥٦
١٧٩	ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة .	٣٨
١٨٠	من علامات إقامة الحق لك في الشيء: إقامته إياك فيه مع حصول النتائج .	٤٦
١٨١	من عبر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة ، ومن عبر من بساط إحسان الله إليه لم يصمت إذا أساء .	٣٧
١٨٢	تسبق أنوار الحكماء أقوالهم ؛ فحيث صار التنوير: وصل التعبير .	٦
١٨٣	كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز .	٥

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
١٨٤	من أذن له في التعبير: فهمت في مسامع الخلق عبارته، وجليت إليهم إشارته .	**٥**
١٨٥	ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار ، إذا لم يؤذن لك فيها بالإظهار .	**٦**
١٨٦	عباراتهم إما لفيضان وجد ، أو لقصد هداية مريد، فالأول : حال السالكين ، والثاني حال أرباب المكنة والمحققين .	**٧**
١٨٧	العبارات قوت لعائلة المستمعين ، وليس لك إلا ما أنت له آكل .	**٧**
١٨٨	ربما عبر عن المقام من استشرف عليه ، وربما عبر عنه من وصل إليه ، وذلك ملتبس إلا على صاحب بصيرة .	**٦**
١٨٩	لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته ؛ فإن ذلك يقل عملها في قلبه ، ويمنعه وجود الصدق مع ربه .	**٦**
١٩٠	لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطى فيهم مولاك ، فإذا كنت كذلك: فخذ ماوافقك العلم .	**٢٩**
١٩١	ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه لاكتفائه بمشيئته ، فكيف لا يستحي أن يرفعها إلى خليقته ؟! .	**٢٩**
١٩٢	إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس ، فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً .	**٢٠**
١٩٣	من علامات اتباع الهوى: المسارعة إلى نوافل الخيرات ، والتكاسل عن القيام بالواجبات .	**١٩**
١٩٤	قيد الطاعات بأعيان الأوقات ، كي لا يمنعك عنها وجود التسوف ، ووسع عليك الوقت كي تبقى لك حصة الاختيار .	**٣٧**
١٩٥	علم قلة نهوض العباد إلى معاملته ، فأوجب عليهم وجود طاعته ، فساقهم إليه بسلاسل الإيجاب ، عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل .	**٦٧**

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
١٩٦	أوجب عليك وجود خدمته ، وما أوجب عليك إلا دخول جنته .	**٦٧**
١٩٧	من استغرب أن ينقذه الله من شهوته ، وأن يخرجه من وجوده غفلته فقد استعجز القدرة الإلهية : ﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ (الجاثية: ١٨) .	**٣٥**
١٩٨	ربما وردت الظلم عليك ؛ ليعرفك قدر ما من به عليك .	**٨١**
١٩٩	من لم يعرف قدر النعم بوجدانها؛ عرفها بوجود فقدانها .	**٨١**
٢٠٠	لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك، فإن ذلك مما يحط من وجود قدرك .	**٨٤**
٢٠١	تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال .	**١٩**
٢٠٢	لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج ، أو شوق مقلق .	**٢٠**
٢٠٣	كما لا يحب العمل المشترك؛ كذلك لا يحب القلب المشترك، العمل المشترك: لا يقبله ، والقلب المشترك: لا يقبل عليه .	**٢٠**
٢٠٤	أنوار أذن لها في الوصول ، وأنوار أذن لها في الدخول .	**٧٨**
٢٠٥	ربما وردت عليك الأنوار فوجدت قلبك محشوا بصور الآثار، فارتحلت من حيث نزلت .	**٧٨**
٢٠٦	فرغ قلبك من الأغيار: يملأه بالمعارف والأسرار .	**٧٨**
٢٠٧	لا تستبطئ منه النوال، ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال .	**٧٩**
٢٠٨	حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها، إذ ما من وقت يرد إلا و الله عليك فيه حق جديد ، وأمر أكيد ، فكيف تقضى فيه حق غيره ، وأنت لم تقض حق الله فيه ؟!	**٤٨**
٢٠٩	ما فات من عمرك: لا عوض له، وما حصل لك منه: لا قيمة له .	**٤٨**
٢١٠	ما أحببت شيئا إلا كنت له عبداً ، وهو لا يحب أن تكون لغيره عبداً .	**٢٠**
التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	**الصفحة**

٢١١	لا تنفعه طاعتك ، ولا تضره معصيتك ، وإنما أمرك بهذه ، ونهاك عن هذه، لما يعود عليك .	**٦٧**
٢١٢	لا يزيد في عزه إقبال من أقبل عليه ، ولاينقص من عزه إدبار من أدبر عنه .	**٦٧**
٢١٣	وصولك إلى الله: وصولك إلى العلم به، وإلا فجل ربنا أن يتصل به شيء ، أو يتصل هو بشيء .	**٩٥**
٢١٤	قربك منه: أن تكون مشاهداً لقربه ، وإلا فمن أين أنت ووجود قربه ؟!	**٩٥**
٢١٥	الحقائق ترد في حال التجلي مجملة ، وبعد الوعي يكون البيان : (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) (القيامة: ١٨–١٩) .	**٧٦**
٢١٦	متى وردت الواردات الإلهية عليك: هدمت العوائد عليك : (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) (النمل : ٣٤) .	**٨١**
٢١٧	الوارد يأتي من حضرة قهار ؛ لأجل ذلك لايصادمه شيء إلا دمغه (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) (الأنبياء : ١٨) .	**٨١**
٢١٨	كيف يحتجب الحق بشيء ، والذي يحتجب به هو فيه ظاهر ، وموجود حاضر !؟	**٩٠**
٢١٩	لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور ، فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلاً .	**٣٥**
٢٢٠	لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته ، فليس المراد من السحابة الإمطار ، وإنما المراد منها: وجود الإثمار .	**٨١**
٢٢١	لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها ، وأودعت أسرارها ، فلك في الله غنى عن كل شيء ، وليس يغنيك عنه شيء .	**٨٥**

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
٢٢٢	تطلعك إلى بقاء غيره: دليل على عدم وجدانك له ، واستيحاشك لفقدان سواه: دليل على عدم وصلتك به .	٨٥
٢٢٣	النعيم –وإن تنوعت مظاهره– إنما هو لشهوده واقترابه ، والعذاب –وإن تنوعت مظاهره– إنما هو لوجود حجابه ، فسبب العذاب: وجود الحجاب ، واتمام النعيم: بالنظر إلى وجهه الكريم .	٨٩
٢٢٤	ما تجده القلوب من الهموم والأحزان: فلأجل مامنعته من وجود العيان .	١٧
٢٢٥	من تمام النعمة عليك: أن يرزقك ما يكفيك ، ويمنعك ما يطغيك .	٤١
٢٢٦	ليقل ما تفرح به: يقل ما تحزن عليه .	٢٥
٢٢٧	إن أردت ألا تعزل: فلا تتول ولاية لا تدوم لك .	٢٤
٢٢٨	إن رغبت البدايات: زهدتك النهايات، إن دعاك إليها ظاهر: نهاك عنها باطن .	٢٥
٢٢٩	إنما جعلها محلاً للأغيار ، ومعدناً للأكدار ؛ تزهيداً لك فيها .	٢٤
٢٣٠	علم أنك لاتقبل النصح المجرد ، فذوقك من ذواقها ما سهل عليك وجود فراقها .	٢٤
٢٣١	العلم النافع: هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه ، وينكشف به عن القلب قناعه .	٧
٢٣٢	خير العلم ماكانت الخشية معه.	٧
٢٣٣	العلم إن قارنته الخشية فلك، وإلا فعليك	٧
٢٣٤	متى آلمك عدم إقبال الناس عليك ، أو توجههم بالذم إليك: فارجع إلى علم الله فيك، فإن كان لا يقنعك علمه، فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم .	٤٤

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
٢٣٥	إنما أجرى الأذى على أيديهم كي لا تكون ساكنا إليهم ، أراد أن يزعجك عن كل شيء ، حتى لا يشغلك عنه شيء .	٤٤
٢٣٦	إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك: فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده .	٢٠
٢٣٧	جعله لك عدواً ؛ ليحوشك به إليه ، وحرك عليك النفس ؛ ليدوم إقبالك عليه .	٢٠
٢٣٨	من أثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً، إذ ليس التواضع إلا عن رفعة ؛ فمتى أثبت لنفسك تواضعاً: فأنت المتكبر حقاً .	٢٢
٢٣٩	ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن المتواضع ، الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع.	٢٢
٢٤٠	التواضع الحقيقي: هو ما كان ناشئاً عن شهود عظمته ، وتجلي صفته .	٢٢
٢٤١	لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف .	٥٦
٢٤٢	المؤمن يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكراً ، وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكراً .	٣٤
٢٤٣	ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضاً، أويطلب منه غرضاً، فإن المحب من يبذل لك، ليس المحب من تبذل له.	٢١
٢٤٤	لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ، إذا لامسافة بينك وبينه ؛ حتى تطويها رحلتك ، ولا قطعة بينك وبينه ؛ حتى تمحوه وصلتك	٩٦
٢٤٥	جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ؛ ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته ، وأنك جوهرة ، تنطوي عليك أصداف مكوناته .	١٧
٢٤٦	إنما وسعك الكون من حيث جسمانيتك ، ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك .	١٧

الصفحة	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	التسلسل
١٥	الكائن في الكون ، ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ، ومحصور في هيكل ذاته .	٢٤٧
١٨	أنت مع الأكوان مالم تشهد المكون ، فإذا شهدته: كانت الأكوان معك .	٢٤٨
٨٢	لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية، إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت في الأفق ، وليست منه، تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك ، وتارة يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك ، فالنهار ليس منك وإليك ، ولكنه وارد عليك .	٢٤٩
١٠٢	دل بوجود آثاره على وجود أسمائه ، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه ، وبثبوت أوصافه على وجود ذاته ؛ إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه ؛ فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ، ثم يردهم إلى شهود صفاته ، ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه ، ثم يردهم إلى شهود آثاره ، والسالكون على عكس هذا ، فنهاية السالكين: بداية المجذوبين ، وبداية السالكين: نهاية المجذوبين ، لكن لا بمعنى واحد ؛ فربما التقيا في الطريق : هذا في ترقيه ، وهذا في تدليه .	٢٥٠
٧٥	لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا في غيب الملكوت ، كما لاتظهر أنوار السماء إلا في شهادة الملك .	٢٥١
٣٤	وجدان ثمرات الطاعات عاجلاً بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلاً .	٢٥٢
٦٧	كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ؟ أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه إليك ؟	٢٥٣

التسلسل	الحكم العطائية بحسب تسلسل ورودها في مصادرها	الصفحة
٢٥٤	قوم تسبق أنوارهم أذكارهم ، وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم ، وقوم تتساوى أذكارهم وأنوارهم ، وقوم لا أذكار ولا أنوار –نعوذ بالله من ذلك– .	١٠٠
٢٥٥	ذاكر ذكر ؛ ليستنير قلبه ، وذاكر استنار قلبه ؛ فكان ذاكراً ، والذي استوت أذكاره وأنواره فبذكره يهتدي وبنوره يقتدي .	١٠٠
٢٥٦	ما كان ظاهر ذكر: إلا عن باطن شهود وفكر .	٦١
٢٥٧	أشهدك من قبل أن يستشهدك ، فنطقت بإلهيته الظواهر ، وتحققت بأحديته القلوب والسرائر .	٩٦
٢٥٨	أكرمك بكرامات ثلاث : جعلك ذاكراً له ، ولو لا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك ، وجعلك مذكوراً به ؛ إذ حقق نسبته لديك ، وجعلك مذكوراً عنده ، فتمم نعمته عليك .	٣٥
٢٥٩	رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ، ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده .	٤٩
٢٦٠	من بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ، ولا تلحقه الإشارة .	٤٩
٢٦١	الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ، ثم لا تتوجه إليه ، وتقل عوائقك ، ثم لا ترحل إليه .	٣٨
٢٦٢	الفكرة سير القلب في ميادين الأغيار .	٥٤
٢٦٣	الفكرة سراج القلب ، فإذا ذهبت فلا إضاءة له .	٥٥
٢٦٤	الفكرة فكرتان : فكرة تصديق وإيمان ، وفكرة شهود وعيان : فالأولى لأرباب الاعتبار ، والثانية لأرباب الشهود والاستبصار .	١٠١

السيرة الذاتية للمؤلف

أحمد عدنان عبدالله الوتاري

المواليد: ١٣٨٣ هـ- ١٩٦٣ م، بغداد- العراق

البريد الالكتروني: **wattary@yahoo.com**

التحصيل الاكاديمي

١- بكالوريوس الهندسة المعمارية- جامعة بغداد- ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م

٢- بكالوريوس العلوم الاسلامية (بامتياز مع مرتبة الشرف)- جامعة بغداد –١٤٢٠هـ

الممارسة العلمية الأدبية:

١- **كتاب (فقه السورة القرآنية)**، المتضمن لمقدمة في الأصول العامة لمنهج دراسة البناء الموضوعي للسورة القرآنية، مع نماذج تطبيقية لست عشرة سورة، وقد قامت (جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم) بطبعه ونشره.

٢- **كتاب (فقه الهجرة الى الله)**، محاولة لإعادة تشكيل فسيفساء الجمل المتناثرة الحكيمة التي سطرتها روح ابن عطاء الله السكندري قبل اكثر من ٧٠٠ سنة، لتنتظم في جملة واحدة، تنير سبيل السلوك والهجرة إلى الله.

٣- **كتاب (فقه الوجود)**: وهو محاولة على طريق إعادة تشكيل الوعي الإسلامي في فقه الحياة وفقه الموت وفقه الجنة، وفق قراءة مؤسسة على النوع الثاني من أنواع مناهج التفسير الموضوعي الخمسة: (التفسير الموضوعي في إطار المفهوم القرآني).

٤- مجموعة بحوث في البناء الموضوعي للسورة القرآنية، تمتاز بأصالتها وبجدة منهجها البحثي، بلغت حتى الآن بحدود ٤٠ بحثاً، وقد تم تقييم أصالة البحوث وجدارتها العلمية من قبل بعض من خيرة علماء المسلمين في العراق وغيره.

الممارسة العملية الهندسية

١- مدير التصاميم في شركة سي أس أتش كيه دبي المحدودة، دبي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٩م

٢- صاحب الامتياز ومدير مكتب المهندس المعماري الاستشاري احمد الوتاري- بغداد ١٩٩١-٢٠٠٥م